المكتبة اللغوية

منهج أبي البركات الأنباري

في إعراب القرآن
في كتابه البيان في غريب إعراب القرآن

تأليف
الدكتور عبد المقصود محمد عبد المقصود
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

obeikandl.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦م
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة
E-mail:alsakafa_alDinaya@hotmail.com

رقم الإيداع	٢٠٠٥/١٤٦٢٠
الترقيم الدولي I.S.B.N.	977-341-235-0

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وفّق وأعان ، والشكر له على توالي برّه والإحسان ، والصلاة والسلام على خير خلقه وأكرم رسله محمّد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتّبع هـــداه ، وبعد :

فموضوع هذا البحث : منهج أبي البركـــات الأنباريّ النحـــويّ في إعـــراب القـــرآن في كتابه: البيان في غريب إعراب القرآن . وقد دفعني لاختيار هذا الكتاب من بين كتب أبي البركات ـــ وهي كثيرة ـــ عدّة عوامل ، منها أنّ هذا الكتاب يعدُّ الصورة الأخيرة التي أودع فيها الرجل خبرته النحوية والتصريفيّـــة ، ومنها أنّه يُعَـــدّ أيضاً سِجِلاًّ للكتب والرسائل التي صنّفها،وذلك حين أحال الإفاضة في مسائله عليها ، ومنها أنّه يُعَـــدُّ تطبيقاً عمليًا لحمل آرائه النظريّة في مختلف علوم اللغة وأطراف من علوم القرآن .

وقـــــد سرتُ فيه بتوفيقٍ من الله –عزّ وجلّ–فجعلتُه في سبعة مباحث هي في رأيي كافيةٌ لرسم صورة واضحة المعالم لمنهج الرجـــل في معالجة قضاياه النحوية والتصريفيّة في هـــذا الكتاب ؛ المبحث الأول : أبو البركات وكتابه البيان ، والمبحث الثاني : موقفه من الخلاف النحويّ ، والمبحث الثالث : موقفه من نظريّة العامل ، والمبحث الرابع : موقفـــه من السماع ، والمبحث الخامس : موقفه من القـــراءات ، والمبحث السادس : موقفه من القياس ، والمبحث السابع : موقفه من العلّة والتعليل . وختمتُ البحث بحديثٍ موجزٍ عن مذهبه في النحو والتصريف ، يليه ملحق بالحواشي والتعليقات ، بَعْدَهُ ثَبَتٌ بأهم المصادر والمراجع التي رجعتُ إليها في هذا العمل .

هذا ، وأرجو أن يكون ما قدّمتُه في بحثي هذا قد حقّق بعض ما قصدتُ إليه ، والله أسأل أنْ يجعلَه خالصًا لوجهه الكريم،وأن يوفّقنا لما فيه خير ديننا ولغتنا التي هي لغة القرآن الكريم ..... إنّه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ، وهـــــو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الأول : أبو البركات وكتابه البيان :

أ ـ أبو البركات :

هو عبدُ الرحمن بن أبي الوفاء محمّد بن أبي السعادات عبيد الله بن أبي سعيد محمّد بن الحسن بن سليمان ، الأنباريُّ ، البغداديُّ النحويُّ : إمامٌ من الأئمة المشار إليهم في علم النحـــو ؛ كان وَرِعًا زاهدًا عابداً تَقِيًّا عفيفًا ثِقَةً صدوقًا فقيهًا مناظرًا غزير العلم تاركًا للدنيا وما فيها . وُلِدَ في شهر ربيع الآخر (١) وقيل : ربيع الأوّل (٢) عام ٥١٣ هـ = ١١١٩ م بالأنبار (٣) وهي مدينة عراقيّة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ ، وكانت الفرس تسمّيها فيروز سابور (٤)ثمّ رحل إلى بغداد فأقام بها منذ صباه إلى أن مات ليلة الجمعة التاسع (٥)من شهر شعبان عام ٥٧٧ هـ = ١١٨١ م ، ودفن بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي (٦).

وقـــد تفقّه على مذهب الإمام الشافعي على الشيخ سعيد بن الرزّاز (٧) ، وقـرأ اللغة على أبي منصور الجواليقي ، وصحب ابن الشجري وأخذ عنه وانتفع بصحبته وتبحّر في علـــم الأدب ، واشتغل عليه خلقٌ كثيرون وصاروا علماء (٨) . وانقطع في آخر أيّامه في بيته مشتغلاً بالعلـــم والعبادة ، وتوفّي بعد حياة علميّة حافلة بالعديد من المصنّفات ؛ حيث ترك مصنّفات عديدة ومفيدة بلغ عددها ثلاثين ومائة في اللغة والأصول والزهد ، وأكثرها في فنون العربيّة (٩) .

أأنباريّ هو أم ابن أنباريّ ؟

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤرّخين يختلفـــون في نسبة أبي البركات ؛ فمنهم من يدعوه الأنباريّ ؛ بنسبته إلى الأنبار ـــ مسقط رأسه ـــ مباشرة ، ومنهم من يدعوه ابن الأنباريّ ؛ بنسبة أبيه إلى الأنبار . وامتـدّ الخلاف إلى يومنا هذا ؛ فنرى من المحدثـــين والمعاصرين من يختار هذه النسبة ، ومنهم من يختار تلك . وأرى أن النسبة في الحالتين صحيحة ؛ فهو أنباريٌّ ؛ لأنه ولد في الأنبار (١٠) فنسب إليها ، وهو أيضًا ابنُ أنباريٍّ ؛ لأنّ أباه كان يتمتّعُ بهذه النسبة أيضًا ، وإن كنتُ أرجّح النسبة الأولى ؛ لأنه حين يقال الأنباريّ ينصرف الذهـــن إلى أبي البركات ، لا إلى أبيه (١١) .

ب ـ كتاب : البيان في غريب إعراب القرآن :

كتاب خالص في إعراب القرآن الكريم يبيّنُ فيه مؤلّفه الوجوه الإعرابية المحتملة في إعراب كثير من الآيات ؛ حيث نراه يتتبّعُ الكلمات

التي هي بحاجة إلى إعمال الفكر والذهن ، فيذكر الوجوه الجائزة فيها ويوجّهها ويذكر خلاف النحويين فيها مؤيّدًا رأيَ كلّ فريق بأدلّته وحججه ، مرجّحًا ما يراه راجحًا ، وسأكتفي بذكر مثال واحد للتوضيح ، وهو قوله ــ وهو يعرب الآية الكريمة : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) (١٢) ــ : ((اختلف النحويّون في (إيّاك) ؛ فذهب المحقّقون إلى أنّه ضمير منصوب منفصل ، وأنّ العامل فيه (نَعْبُدُ) والكاف للخطاب ولا موضع لها من الإعراب ، ولا يعمل فيه إلا ما بعده لا ما قبله ، إلا أن تأتيَ بحرف الاستثناء ؛ نحو : ما نَعْبُدُ إِلّا إيّاكَ ؛ فإن قدّمتَ الفعل عليه من غير استثناء صار الضمير المنفصل ضميرًا متّصلاً ؛ فقلتَ : نَعْبُدُكَ . فأمّا قول الشاعر :

..... إلَيْكَ حَتَّى بَلَغَتْ إيَّاكا

فلا يُقاس عليه ؛ لأنّه إنّما يجوز في ضرورة الشعر ، لا في اختيار الكلام . وذهب آخرون إلى أنّه ضمير مضاف إلى ما بعده ، ولا يُعْلَمُ ضمير أُضِيفَ غيره . وذهب آخرون إلى أنّه اسم مبهم ولا يُعْلَمُ اسمٌ مبهمٌ غيره . وذهب آخرون إلى أنّه اسم مُظهَر مضاف إلى ما بعده ، ويحكون عن العرب : ,, إذا بلغ الرجلُ السّتّينَ فإيّاه وإيّا الشوابّ ،، بالجرّ. وذهب آخرون إلى أنّ (إيّا) عماد ، والضمير ما بعده من الكاف وغيرها ، وهي في موضع نصب . وذهب آخرون إلى أنّ (إيّاك)بكماله الضمير . والذي أختارُه الأول . وقد بيّنّا ذلك في كتابنا الموسوم بالإنصاف في مسائل الخلاف)) (١٣) .

وتكمن أهمّية كتاب البيان في أنّه الصورة الأخيرة التي أودع فيها أبو البركات خبرته النحوية والتصريفية ، وأنّه يُعَدُّ سِجلاً للكتب والرسائل التي صنّفها حين أحال الإفاضة في مسائله عليها ، وقد أثبت منها أربعة عشر مؤلّفاً أحال عليها . وأنّه يُعَدُّ كذلك تطبيقًا عمليًّا لحمل آراء الرجل النظريّة في مختلف علوم اللغة وأطراف من علوم القرآن (١٤) .

أما عن منهج المؤلّف فيه فيمكن إجماله في النقاط التالية:

ــ قدّم الرجل لكتابه بمقدّمة موجزة ، جاء فيها : ((... وبعد : فقد خصَصْتُ في هذا المختصر غريب إعراب القرآن على غاية من البيان ؛ توخّيًا للتفهيم ، والله ــ تعالى ــ ينفع به ، إنّه هو البرّ الرحيم))(١٥) .

ــ تناول الرجل سور القرآن الكريم على ترتيبها المعهود في المصحف ؛ فبدأ بالفاتحة وانتهى بالناس ، محافظًا على ترتيب آياتها ، منتقيًا من كلماتها ما هو بحاجة إلى إعمال الفكر ، كما ذكرنا في مقدّمة هذا المبحث . وقد لوحظ أنّ الرجل لم يحافظ على التسمية المتداولة لكثير من سور القرآن الكريم ؛ حيث نراه يسمّي عددًا منها بما تبدأ به من كلمات ؛

فسورة الشورى عنده : ,, حم عسق ،، (١٦) ، وسورة القمر : ,, اقتربت ،، (١٧) ، وسورة القلم : ,, ن ،، (١٨) ، وسورة التكوير : ,, كُوِّرَتْ ،، (١٩) ، وسورة الانشقاق : ,, انشقّت ،، (٢٠) ، وسورة الانفطار : ,, انفطرت ،، (٢١) ، وسورة الأعلى : ,, سبِّح ،، (٢٢) ، وسورة البيِّنة : ,, لم يكن ،، (٢٣) ، وسورة الماعون : ,, أرأيت ،، (٢٤) ، وسورة النصر : ,, الفتح ،، (٢٥) ، وسورة المسدّ : ,, تَبَّتْ ،، (٢٦) ، وسورة الإخلاص : ,, قل هو الله أحد ،، (٢٧) .

وربّما يسمّي السورة بكلمة منها ليست في أوّلها مثل سورة العلق التي أطلق عليها سورة القلم (٢٨) . وربّما تجده يُغيِّر في التسمية ؛ فسورة الإسراء أطلق عليها ,, بني إسرائيل ،، (٢٩) وسورة غافر أطلق عليها ,, المؤمن ،، (٣٠) ، وسورة فُصِّلَتْ عنده ,, السجدة ،، (٣١) .

ـــ يعمد الرجل إلى الإيجاز والاختصار ، وبخاصة في القضايا التي سبق أن عرضها وناقشها في مؤلَّف سابق ؛ يدلُّك على ذلك قوله ـــ وهو يوجِّه قوله تعالى : (**حَتَّى يَطْهُرْنَ**) (٣٢) ـــ : ((وقرئ بتشديد الطاء وتخفيفها ؛ فمن قرأ بالتشديد أراد : حتّى يَغْتَسِلْنَ . وأصله : يَتَطَهَّرْنَ ، فاجتمعتْ التاء والطاء ـــ *والتاءُ مهموسةٌ ، والطاءُ مطبقةٌ مجهورةٌ* ـــ فكرهوا اجتماعهما فأسكنوا التاء وأبدلوا منها طاءً لقرب مخرجها ، وأدغموا الطاء في الطاء . ومن قرأ : (يَطْهُرْنَ) ـــ بالتخفيف ـــ أراد : يَنْقَطِعُ دَمُهُنَّ . وعلى هاتين القراءتين ينبني الخلافُ بين الشافعي وأبي حنيفة في جواز وطء الحائض إذا انقطع دمُها إثرَ الحيض قبل الغسل ؛ فأجازه أبو حنيفة وأباه الشافعي . وقد بيّنّا ذلك مستوفى في كتابنا الموسوم بالتنقيح في مسائل الترجيح بين الشافعي وأبي حنيفة ـــ رحمة الله عليهما)) (٣٣) .

ويقول في موضع آخر :((ما يُتْلى : في موضع رفع لأنّه معطوف على اسم الله ـــ تعالى ـــ ولا يجوز أن يكون معطوفًا على المضمر في (فيهنّ) لأنّه لا يجوز العطف على الضمير المجرور ،وأجازه الكوفيون وقد بيّنّا فساده في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ،، (٣٤) .

ـــ يغلب على الكتاب العناية بالناحية النحوية والتصريفية الخالصة ، ومع ذلك فقد استعان بالتفسير ـــ في بعض الأحيان ـــ ليوضّح المعنى ويُثْبِتَ صحّة الإعراب الذي يساير وفساد الإعراب الذي لا يساير المعنى الصحيح ؛ وهاك مثالاً يوضح ذلك ؛ يقول في (قِتَال) في قول الحقّ ـــ تبارك وتعالى ـــ (**قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ**) (٣٥) : ((قتالٌ :مرفوع لأنّه مبتدأ .وإنّما جاز أن يكون مبتدأ وإن كان نكرة لأنّه وصَفَه بقوله :,, فيه ،، فتخصَّص ؛ والنكرة إذا تخصَّصت جاز أن تكون مبتدأ . وكبير: خبر المبتدأ . وقال : (قِتَالٌ فيه كَبِيرٌ) ولم يَقُلْ : القتال ؛ لأنّ النكرة إذا كُرِّرَت عُرِّفَتْ؛ألا ترى أنّ إنسانًا إذا قال : ,, لفلانٍ عليَّ مائة درهم ، لفلانٍ عليَّ مائة درهم ،،

لزمه مائة درهم ؛ لأن المائة الثانية هي الأولى . وإذا قال : ,, لفلانٍ عليّ مائةُ درهم ، لـه عليّ مائةُ درهم ،،لزمه مائتان ؛ لأنّ المائة الثانية غير الأولى ؛ لأنهم سألوه عن قِتَالٍ وقع في ذلك الوقت بعينه ؛ لأنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بَعَثَ سَرِيَّة لقتال المشركين ، وأظل شهر رجب فبعثوا إليه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ يسألونه عن ذلك القتال الذي بعثهم فيه ، فأجابهم في الآية بأنّ كلّ قتالٍ يقع في هـذا الشهر كبير ، لا ذلك القتال بعينه ، حتى يلزمه التعريف بالألف واللام)) (٣٦) .

ـــ *يعني أبو البركات بدعم مذهبه النحوي بالقرآن نفسه* ؛ حيث نراه حين يقرّر قاعدة أو مذهبًا يقوّي ذلك بالاحتجاج بالشاهد ـــ آية أو قراءة لها ـــ مما يدلّ على أهمية الشاهد القرآني وأنه يحتلّ أعلى مراتب السماع عنده ؛ ففي توجيه الآية الكريمة : (**خَتَمَ اللهُ على قُلُوبِهِمْ وعلى سَمْعِهِمْ وعلى أبصارِهِم غِشَاوةٌ**) (٣٧) نراه يعلل بثلاثة أوجه ، ثالثها : الاكتفاء باللفظ المفرد لما أضيف إلى الجمع ، ثم يقول : ((وضعّف سيبويه هذا الوجه وزعم أن هذا إنما يجيء كثيرًا في الشعر . وليس كذلك ؛ لمجيئه كثيرًا في كتاب الله ـــ تعالى ـــ ؛ قال الله ـــ تعالى ـــ : **(لا يَرْتَدُّ إليهِمْ طَرْفُهُمْ**) (٣٨) وقال تعالى : (**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ**)(٣٩) وقال تعالى : (**لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيةٌ**) (٤٠) ، (٤١) .

ـــ *يُكثر الرجل من ذكر القواعد النحوية الأصولية العامة ويكرّرها للمراجعة والتذكير ،*

ومن تلك القواعد ما يلي :

- حذف الحرف الأضعف أقوى من حذف الحرف الأقوى (٤٢) .
- حذف الحرف الزائد أولى من حذف الأصليّ (٤٣) .
- حذف ما لم يجئ لمعنى ـــ ولو كان أصليًّا ـــ أولى من حذف ما جاء لمعنى (٤٤) .
- إضافة العدد القليل ـــ وهو من الثلاثة إلى العشرة ـــ إلى جمع القلة أولى من إضافته إلى جمع الكثرة ؛ لما في إضافته إلى جمع الكثرة من التنافي (٤٥).
- لا يجوز العطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض (٤٦) .
- لا يجوز الجمع بين خبرين في خبر واحد (٤٧) .
- الحمل على الأكثر أولى من الحمل على الأقل (٤٨) .
- لا يجوز الفصل بين الصلة والموصول بالأجنبي (٤٩).
- إذا وجب إدغام أحد الحرفين في الآخر كان إدغام الأنقص صوتًا في الأزيد صوتًا أولى (٥٠) .
- الضمائر تردُّ الأشياء إلى أصولها (٥١) .

- حذف ما فيه زيادة معنى أولى من حذف ما فيه معنى واحد (٥٢) .

- إبدال الحرف الأقوى من الأضعف أولى من إبدال الأضعف من الأقوى (٥٣) .

- إذا بطل عمل الأصل فإبطال عمل الفرع من باب أولى (٥٤) .

ـ *يهتمّ الرجل بالخلاف النحويّ ويوليه عناية عظيمة* ، وليس هذا بغريب من صاحب أشهر (٥٥) كتاب صُنّف في علم العربية يشتمل على عدد من مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة ؛أعني كتاب الإنصاف ، ذلك الكتاب الذي بلغت مسائله الخلافية / ١٢١/ مسألة . وسنفرد لهذه السمة المنهجية مبحثًا مستقلاً إن شاء الله تعالى .

ـ *استشهد الرجل بالعديد من أقوال العرب وأمثالهم وأشعارهم ، ولم ينسب من شواهده الشعرية إلى أصحابها إلا قليلاً منها* . ولهذه السمة حديث آخر في موضعه من هذا البحث إن شاء الله .

ـ *يتتبّع القراءات الأخرى في الآية الكريمة التي يعربها فيذكرها مفصّلة ثم يعود فيوجّه كلّ قراءة منها التوجيه النحويّ المناسب ، ويرجّح منها ما يرجّح ، ويضعّف منها ما يضعّف ، ويحكم بالشذوذ على ما شذّ ؛ ومع هذا لا يَرُدُّ قراءة ؛* لأنّ القراءات كلّها من القرآن ، وما كان من القرآن فهو أولى بالقبول وأجدر بالتفضيل . والقراءة -عنده - سُنّة متّبعة وإنْ خرجت على القياس .وسنفرد لموقفه من القراءات مبحثًا خاصًا في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى .

ـ *اعتراضات أبي البركات على النحويين غير قليلة* ؛ فنراه يعترض على الكوفيين (٥٦) وأبي الحسن الأخفش (٥٧) والكسائيّ (٥٨) وأبي عثمان المازنيّ (٥٩) وأبي جعفر النحّاس (٦٠) وآخرين.

ـ *مراعاته المعنى واضحة جليّة في هذا الكتاب* ؛ فهو يفضّل إعرابًا على آخر تَبَعًا للمعنى ؛ يقول - وهو يوجّه قوله تعالى - : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (٦١) :((يومًا : منصوب ؛ لأنّه مفعول :اتّقوا. لا على الظرف ؛ لأنّه كان يوجب تكليفهم يوم القيامة ،وليس المعنى : واتّقوا عذاب يوم ؛ فحُذِفَ المضافُ وأقيم المضافُ إليه مقامه ؛ كقوله تعالى : ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ﴾(٦٢) ؛ أي : عذابَ يومِ الأزفةِ ؛ أي : القيامة))(٦٣) .

ونراه يرجّح قراءة على أخرى تَبَعًا للمعنى حين يقول ـ وهو يوجّه إعرابيًا قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٦٣) -:((كل:يقرأ بالرفع والنصب ؛ فالرفع على الابتداء لأنه من مواضع الابتداء .وخلقناه : خبره .والنصب هاهنا هو القراءة المشهورة التي عليها الجماعة .وإنما ذهبوا إلى النصب بتقدير : خلقنا ؛ لأنّ الفائدة فيه أكثر من فائدة الرفع ؛ ألا ترى أنك إذا قلت : ﴿إنا كلَّ

شيءٍ خلقناه بِقَدَرٍ) ــ بالنصب ــ على تقدير :خلقنا كلَّ شيء بِقَدَرٍ ، كان مُتَمَحِّضًا للعموم ، ولا يجوز أن يكون ,,خَلَقْنَا،، صفة ,,شيء ،، لأنّ الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ، ولا يكون تفسيرًا لــما يعمل فيما قبلها .وإذا لم يكن ,,خلقناه،، صفة لــ ,,شيء ،، لم يبق إلا أنّه تفسير للناصب لــ ,,كلّ،، وذلك يدلّ على العموم واشتمال الخلق على جميع الأشياء .وإذا قلت : إنّا كلَّ شيءٍ خَلَقْنَاه بقدر –بالرفع–جاز أن يظنّ أنّ ,,خلقنا،، صفة لــ ,, شيء ،، .و,,بِقَدَرٍ،، يتعلّق بتقــدير ,,كائن،، لا بــ ,,خَلَقْنَا،، فلا يكون مُتَمَحِّضًا للعموم ؛لأنه يصير المعنى :إنّا كلّ شيء مخلوق بِقَدَرٍ.فيحتمل أن يكون هاهنا ما ليس بمخلوق من الأشياء ،بخلاف النصب ؛فإنّه لا يحتمل إلا العموم .فلهذه الفائدة من العموم اختارت الجماعة النصب على الرفع ،، (٦٤) .

أسلوب أبي البركات في الكتاب :

أبرز ما يميِّز هــــذا الكتابَ – وكتبَ الأنباريِّ كلِّها–جودةُ الأسلوب ونصاعتُه ووضوحُ المعنى وجودةُ التنسيقِ والترتيبِ وحُسْنُ العرض ؛ فهــــو يعرض قضاياه ومسائله وتعليلاته بأسلوب سهل عــــذب لا يملّه القارئ،يدعمه بالحجّة والمنطــــق والبرهان،هاك دليلاً على ذلك وهو قوله :((كَيْفَ :اسْمٌ . وفي الدلالة على ا سميّتها وجهان؛ أحدهما : ما حُكِي عن العرب أنّهم قالوا :,, عَلَى كَيْفَ تَبِيعُ الأَحْمَرَيْنِ،، فأدخلوا عليها حرف الجرّ ، فــدلّ على أنّها اسم . والثاني–وهو أوجَهُ الوجهين–وهو أنْ نقول : لا تخلو ,,كَيْفَ،، إمّا أنْ تكون اسمًا أو فعلاً أو حرفًا ؛بطل أنْ يقال حرف؛لأنّها تفيد مع كلمة واحدة ،والحرف لا يفيد مع كلمة واحــدة وإنّما وقعت به الفائدة في النداء ، نحو :يا زيدُ ، مع كلمة واحدة باعتبار الجملة المقــدَّرة لا باعتبار الحرف مع كلمة واحدة . وبطل أيضًا أنْ تكــــون فعلاً ؛لأنّها لا تخلو إمّا أنْ تكون فعلاً ماضيًا أو مضارعًا أو أمرًا ؛ بطل أ نْ تكون فعلاً ماضيًا ؛لأنّ الماضي لا يخلو إمّا أنْ يكــون على ,,فَعَلَ،، كــ ,,ضَرَبَ،،و,,ذَهَبَ،، ،أو على ,,فَعُلَ،،كــ ,,شَرُفَ،،و,,ظَرُفَ ،، أو على ,,فَعِلَ،، كــ ,,سَمِعَ،، و,,عَلِمَ ،،. وكَيْفَ :على وزن ,,فَعْلَ،، . وبطلْ أن تكون فعلاً مضارعًا ؛ لأنّ الفعل المضارع مــا في أوّله إحدى الزوائد الأربع.وكَيْفَ ليس في أوّلها إحدى الزوائد الأربع.وبطل أن يكون أمرًا ؛ لأنّ معناها الاستفهام ، والاستفهام غير الأمر . وإذا بطل أن تكون حرفًا أو فعلاً تعيّن أن تكون اسمًا وفي ,,كَيْفَ،،كلامٌ طويل وقد أفردنا فيه كتابًا ، وموضعها هاهنا نصب على الحال بــ ,,تكفرون،،(٦٥).

وتلك سمة أسلوبية بارزة واضحة غاية الوضوح في هــذا الكتاب ، والدلائل عليها كثيرة جدًّا فيه ولكنّا نكتفي بما قدّمناه خشيةَ الإطالة ؛ فالقليل يغني عن الكثير.

****

المبحث الثاني : موقف أبي البركات من الخلاف النحوي :

اهتمّ صاحبنا بالخلاف النحويّ وأولاه جلّ عنايته -كما ذكرنا- وخيرُ دليلٍ على ذلك كتابُه الإنصاف الذي يُعَدُّ- بحقٍّ- من أهم المؤلّفات التي عنيت بالخلاف النحويّ بين المدرستين وأشهرها وأفضلها عرضًا ومعالجة ومناقشة .

و لم يكن الإنصافُ الكتابَ الوحيد الذي عالج فيه أبو البركات مسائل الخلاف ، ولكنا نجد مصنّفاته الأخرى ، كأسرار العربية والبيان وغيرهما تعجّ بالمسائل الخلافية ، وأكثرها من مسائل الإنصاف ، وهذا يؤيّد ما قاله أحد الباحثين المعاصرين (٦٦) بعد أن ذكر مسائل الإنصاف التي تضمّنتها مصنّفاته الأخرى : ((تلك هي المسائل الخلافية التي تضمّنها كتاب الإنصاف ، ولكنّ ابن الأنباري لم يقصر همّه في حياته على هذه المسائل فقط ؛ فقد كان شَغِفًا بالخلاف منجذبًا إليه ، لا يني يفكر فيه ويطيل النظر في قضاياه ، ولذلك كثر في مؤلفاته الأخرى ذكر مسائل الإنصاف والإحالة إليها ؛ فما يذكر مسألة إلا ويورد رأي البصريين والكوفيين إجمالاً))٠

ولقد كان لاهتمامه بالخلاف النحويّ أثرٌ ظاهر في كتابه موضوع الدراسة ، مع أنّه في ذكر مسائله الخلافية فيه يعمد إلى الإيجاز وعدم التطويل ، فتراه يلخّص المسألة الخلافية في عبارة مركزة ثمّ يحيل التطويل والإسهاب على كتابه المتخصّص في الخلاف ــ أعني الإنصاف ــ وَخُذْ مثالاً على ذلك ؛ يقول في مسألة اشتقاق الاسم : ((اختلفوا في اشتقاق الاسم ؛ فذهب البصريون إلى أنّه مشتقٌّ من السُّمُوّ-وهو العلوّ-وذهب الكوفيون إلى أنّه مشتقٌّ من الوَسْمِ -وهو العلامة- والصحيح ما ذهب إليه البصريون ٠ وقد بيّناه مستوفى في كتابنا الموسوم بالإنصاف في مسائل الخلاف وغيره من كتبنا)) (٦٧)٠

فمنهج أبي البركات في البيان يختلف عنه في الإنصاف ؛ فهو في الإنصاف يفيض ويستقصي ، يوازن ويتأمّل ، يسرد الأدلّة والحجج ، يبيّن فساد الرأي المخالف لمذهبه بعد أن يرجّح الرأي الذي يراه صوابًا -وهو رأي البصريين-ولكنّه في البيان يمرُّ مرورًا عابرًا ويعرّج على المسألة تعريجًا ؛ فلا يذكرها إلا عرضًا عند الإعراب ، أو عند شرح قضيةٍ ما ، وفي الغالب لا يتّخذ لنفسه موقفًا فيها وكأنّه كان يرى في الإحالة عليها ما يغنيه عن الإعادة والتكرار وبخاصة أنه قد منحها ما تستحقُّ من عناية واهتمام٠

وقد كان الرجل مولعًا بحصر الوجوه الإعرابية الجائزة في المسألة وإثبات آراء النحاة وأقوالهم ومذاهبهم فيها والموازنة بين تلك الآراء والأقوال والمذاهب وترجيح واحد منها ، وتلك سمة منهجية تميّز أبا البركات وتدلّ على تمكّنه واقتداره وإحاطته بمذاهب القوم ٠غير أنّ أحد الباحثين المعاصرين

قد أخذ عليه هذا حين قال : ((والذي يدعو إلى العَجَب أنّه يلتزم ذلك في معظم مجالات نشاطه وفي مختلف مؤلفاته ، مع أنّ ثمّـة موضوعات نحوية لم تجرِ العادة بإقحام موضوع الخلاف فيها، كالإعراب مثلاً ؛ لأنّ المقصود من الإعـراب هو التطبيق العمليّ لقواعد النحو. وقد جرت العادة فيه أن يدوّن المؤلف فيه رأيه ويثبت موقفه لا أنْ يجعله سِجلاًّ لآراء الماضين والسالفين ، أما صاحبنا فقد جرى على غير ذلك في إعراب القرآن؛ إذ التزم عند تعرُّضِهِ لأيّة كلمة بإثبات ما كان يراه مناسبًا من آراء النحاة الذين لرأيهم وزن ولكلمتهم قيمة)) (٦٨).

وخلاصة القول إذن أنّ مسائل الإنصاف الخلافية- وعددها ١٢١- قد جاءت مبعثرة في البيان أدخلها أبو البركات في مواضعها المناسبة من الكتاب ، وقد نقلها بإيجاز ودقّة شديدين ، وكان - في الغالب- مَعْنِيًّا ببيان مواقف القوم منها ، لا موقفه هو-كما ذكرنا-وأنّ ثمّة مسائل أخرى جديدة في البيان لم ترد في الإنصاف ؛ منها ما يتعلّق بالأصل الاشتقاقيّ لبعض الكلمـات ، ومنها ما يتعلّـق بالإعراب ، وهاهي هذه المسائل :

ـ اشتقاق لفظة ((ناس)) (٦٩).

ـ اشتقاق لفظة ((أوّل)) (٧٠).

ـ اشتقاق لفظة ((هَلُمّ)) (٧١).

ـ اشتقاق لفظة ((اتَّخَذ)) (٧٢).

ـ إعراب ((لا)) في قوله تعالى : (غير المَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلا الضّالّين) (٧٣).

ـ إعراب المصدر المؤوّل في قوله تعالى : (أنْ يُؤْمِنُوا لَكُم) (٧٤).

ـ إعراب لفظة ((مِلّة)) في قوله تعالى : (بَلْ مِلّة إبراهيمَ حَنيفًا) (٧٥).

ـ إعراب الظرف في قوله تعالى : (لقد تَّقَطَّعَ بَينَكُم) (٧٦).

ـ فاعل ((يَهْد)) في قوله تعالى : (أ فَلَمْ يَهْدِ لِهُمْ كَمْ أهْلَكْنا) (٧٧).

ـ إعراب ((زهرة)) في قوله تعالى : (زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنْيَا) (٧٨).

ـ متعلّق الظرف في قوله تعالى : (فَأذّنَ مُؤذّنٌ بَيْنَهُم أن لَّعْنَةُ اللهِ) (٧٩).

****

المبحث الثالث : موقفه من نظرية العامل :

اهتم النحويون -قديمًا وحديثًا- بالعامل النحويّ ، وذلك منذ أن كان فكـــرة عند الخليـــل الفراهيديّ المتوفّى ١٧٥هـــ (٨٠) وتلميذه سيبويه المتوفّـــى ١٨٠هـــ (٨١) إلى أن استحكمت هذه الفكرة ونضجت عند أبي الحسن الأخفش المتوفّى ٢١٥هـــ ونشرت ظلالها على كثـــير من جوانب النحو عنده ، ثم تطورت بعد ذلك وصارت نظرية مكتملة الجوانب والأركان.

وقد أفاض النحويون في استقراء العوامل وذكر مواضع عملها وشروط العمـــل ، وقـــد أُلِّفَتْ مؤلفات عديدة في العوامل ؛ منها كتاب العوامـــل ، ومختصره لأبي علي الفارسي (ت : ٣٧٧هـــ) والعوامل المائة لعبد القاهر الجرجاني (ت : ٤٧١هـــ) ، وتلقيح الألباب في عوامل الإعراب لأبي بكر الشتريني (ت : ٥٤٩هـــ)،وغير ذلك كثير حتى يومنا هذا.

وكان من ثمار سيطرة فكرة العامل على الدرس النحويّ أن شَطَّ النحو العربي عن المنهج الوصفيّ الذي يجب اتباعه ،وتملّك النحاة منهج المناطقة والكلاميين ،وسيطر هذا المنهج على تفكيرهم ، وكان من الطَّبَعِيّ أن تظهر عدّة محاولات مضادة كَرَدٍّ فعل لهذا الموقف (٨٢) منها :محاولة ابن مضاء القرطبي (ت:٥٩٢هـــ) في كتابه الشهير : ((الردّ على النحاة)) .ثم ظهرت محاولة الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتابه ((إحياء النحو)) ؛ تلك التي تأثر فيها تأثرًا واضحًا برأي ابن جني (٣٩٢ هـــ) القائل بأنّ العامل هو المتكلّم نفسه (٨٣) . وقد تأثر فيها كذلك برأي ابن مضاء المطالب بإلغاء العوامل ، ورَأْي الزمخشري (٥٣٨هـــ) وشارح مفصله يعيش بن علي (ت:٦٤٣هـــ) (٨٤). وقد تبنّى د. مهـــدي المخزومي -تلميذ الأستاذ إبراهيم مصطفى-منهج أستاذه في كتابيه : ((في النحو العـــربي- قواعد وتطبيق)) و ((في النحو العربـــي-نقد وتوجيه)) (٨٥). ومنها كذلك محاولة د.إبراهيـــم أنيس في كتابه ((من أسرار اللغة)) تلك التي تأثر فيها بِرَأْي محمد بن المستنير المعروف بِقُطْرُب(ت:٢٠٦هـــ) (٨٦). ومنها محاولة د.تمّام حسّان في كتابيه:(اللغة العربية معناها ومبناها)) ،و ((اللغة بين المعيارية والوصفية)) ؛ حيث ذكر الدكتور مجموعة من القرائن اللفظية والمعنوية ورأى أن تضافر تلك القرائن يغني عن القول بفكرة العامل النحويّ الذي قال به النحاة ، وذكر أن العامـــل جاء لتوضيح قرينة واحدة وهو قاصر عن تفسير الظواهر النحوية والعلاقات السياقية ، فجاءت القرائن لتوزع اهتمامها بين القرائن النحوية اللفظية والمعنوية لتوصّل إلى وضوح المعنى وأمن اللبس وتنفي التفســـير الظنّي والمنطقيّ لظواهر السياق ، وتصرف عن الجدل في متاهات العامل وأصالته أو زيادته أو تقديـــره أو ضعفه أو قوته (٨٧) . وقد تأثر د. تمام في محاولته هذه بعبد القاهر الجرجاني ؛ حيث أخذ منه فكرة التعليق التي هي أساس نظرية النظم والتي تتلخص في إنشاء العلاقات بين المعاني النحويـــة بواسطة القرائن اللفظية والمعنوية (٨٨).

لكن التساؤل الذي يفرض نفسه الآن : ما موقف صاحبنا أبي البركات من نظرية العامل ؟ وما هي ملامح وأسس تلك النظرية عنده ؟

يرى الرجل أن الإعراب أثر يجلبه العامل ؛ يقول : ((الإعراب اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظًا أو تقديرًا)) (٨٩) . ومن هذا المنطلق فكلّ علامة من علامات الإعراب وكل حركة من حركاته إنّما تجيء تبعًا لعامل إن لم يكن موجودًا ملفوظًا به فهو مقدّر ملحوظ ؛ فالعامل عنده في ((إذ)) في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ (٩٠) فعلٌ مقدّر وتقديره ((واذكر)).وليس العامل فيه : ((قال)) -كما ذكر بعضهم (٩١).

ويرى كذلك أنّ عامل النصب في ((يوم)) في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ (٩٢) إمّا أن يكون فعلاً مقدّرًا ، وإمّا أن يكون منصوبًا بـ ((استقرّ)) ؛ أي : استقرّ لهم عذابٌ عظيم في يوم تبيض وجوه (٩٣) .

ويرى كذلك أنّ عامل النصب في كلمة ((يوم)) في قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ لَهُم﴾ (٩٤) فعلٌ مقدّر وتقديره : يُمتَّعون يوم البشارة يوم يرون الملائكة. ولا يجوز-عنده - أن يعمل فيه ((بشرىٰ)) ؛ لأنّ ما في حيّز النفي لا يعمل فيما قبله (٩٤).

والعامل قد يكون واجب الحذف لا يصحّ أن يُنطقَ به في كلام ، ولكنّه حينئذٍ يجب تقديره ؛ يقول في العامل في كلمة ((ويل)) في قوله تعالى :﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ﴾ (٩٥) :((.... ويجوز أن ينصبه على المصدر بفعل مقدّر لم يستعمل إظهاره و لم يستعمل منه فعل ؛ لأن فاءه وعينه من حروف العلّة ،و لم يأتِ في كلامهم ما فاؤه وعينه من حروف العلّة إلا كلمات معدودة وهي : وَيْل ، وَيْح ، وَيْب ، وَيْس)) (٩٦).

وقد يكون العامل معنى الإشارة أو معنى الفعل المقدّر ؛ ففي إعراب ((هُدى)) في قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٩٧) نراه يعدّد الأوجُه الإعرابية الجائزة فيها فيذكر الرفع والنصب،ويوجّه الرفع بأربعة أوجُه ،ثم ينتقل إلى النصب فيقول: ((... والنصب على الحال من ((ذا)) أو من ((الكتاب)) أو من الضمير في ((فيه)) ؛ فإن جعلته حالاً من ((ذا)) أو من ((الكتاب)) ، فالعامل فيه معنى الإشارة ، وإن جعلته حالاً من الضمير في ((فيه)) فالعامل فيه معنى الفعل المقدر وهو : استقرّ)) (٩٧) .وقد يكون العامل عنده ما في الكلمة من معنى الفعل ؛ يقول في إعراب ((مثلاً)) في قوله تعالى :﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ (٩٨) : ((مثلاً : منصوب من وجهين : أحدهما أن يكون منصوبًا على التمييز . والثاني أن يكون منصوبًا على الحال من ((ذا)) في ((هذا)). والعامل فيه ما في معنى ((هذا))

من معنى الفعل وهو ((أنبّه عليه)) أو ((أشير عليه)) ؛ لأن معناه الإشارة والتنبيه (٩٩).

والعامل عنده قد يكون معنى الجملة ، ففي إعـــراب ((مصدّقًا)) في قوله تعالى : (**وَهُوَ الحقُّ مُصَدِّقاً**) (١٠٠) يقـــول : ((نصب (مصدّقًا) على الحال من (الحق) . والعامـــــل فيه معنى الجملة ؛ ألا ترى أنه لا يجوز أن يقال : هو زيد قائمًا ؛ لأنّ زيدًا قد يفارق القيام -وهو زيد بحاله - والحقُّ لا يـــجوز أن يفارق التصديق لِكُتُبِ الله- عزّ وجلّ -ولو فارق التصديق لها لخرجت عن أن تكون حقًّا)) (١٠٠).

ونراه يستدلّ بالعامل على نوع الكلمة من حيث الاسمية والفعلية ؛ جاء في إعراب ((كَيْفَ)) في قوله تعـــالى : (**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ**) (١٠١) ما نصُّه : ((كَيْفَ : اسمٌ. وفي الدلالة على ا سميتها وجهان : أحدهما ما حكي عن العـــرب أنّهم قالوا : ((على كَيْفَ تَبِيعُ الأَخْمَرَيْنِ)) ، فأدخلوا عليها حرف الجرّ ؛ فدلّ على أنها اسم ...)) (١٠٢) .

والفعل عند أبي البركات أقوى العوامـــــل لذلك فهو يعمل ظاهرًا ومقدّرًا ، وأحيانًا يكتفي في العمل برائحته أو معناه ؛ يقول - وهو بصدد إعراب ((كيف)) في قوله تعـــــالى - :(**فَكَيْفَ إذا جَمَعناهُم لِيَومٍ لا رَيْبَ فِيهِ**) (١٠٣) : ((كيف : استفهام على الحال ، وهو هاهنا بمعنى التهديد والوعيد ، وهي هنا في موضع نصب. والعامل فيها ما دلّت عليه من معنى الفعـــل وتقديره : في أي حال يكونون إذا جمعناهم. وإذا:موضعها نصب على الظرفية ، والعامل فيها ما دلّت عليه ((كيف)) من معنى الفعل ، والظرف يكتفي بروائح الفعل وما يدلّ عليه الكلام من معنى الفعـــل ، بخلاف غيره من المنصوبات)) (١٠٤).

ويرى الرجل أن بعض العوامل تعمل لشبهها الفعل،فإذا خرجت عن شبه الفعل لا تعمل ؛ يقول عن الموضع الإعرابي لجملة ((يبتغون)) في قوله تعالى : (**ولا آمِّينَ البيتَ الحرامَ يبتغونَ**) (١٠٥) : ((ويبتغون : جملة فعلية في موضع نصب على الحال من الضمـــير في ((آمّين)) ؛ أي : لا يحلوا مَن قصد البيت الحرام مبتغين فضلاً من ربّهم. ولا يجـــوز أن يكون صفة لـــ ((آمّين)) ؛ لأنه قد نصب البيت ، واسم الفاعل إذا وصف لم يعمل ؛ لأنه يخرج بالوصفية عن شبه الفعـــــل ؛ لأن الفعـــل لا يوصف. وإذا خرج بالوصفية عن شبه الفعل ينبغي أن لا يعمل)) (١٠٦).

والمعـــاني عنـــد أبي البركات تعمل في الظروف في نحو قولهم : ((كلّ يومٍ لك درهمٌ)) لأن الظروف عنده تكتفي برائحة ولكنها لا تعمل النصب في المفعول به كما عملت في الظـــرف ؛ لأن المفعول لا يكتفي برائحة الفعل (١٠٧)٠

وقد يعمل العامل في معمـــولين ؛ فعامـــل النصب في ((إبراهيم)) هو نفسه عامل النصب في ((إذ)) في قوله تعالى : (**وإبراهيمَ إذ قال لقومِه**) (١٠٨) وهو فعل مقدر، وتقديره : ((اذكر)) (١٠٩) وكذلك عامل النصب في ((لوطًا)) في قوله تعالى : (**ولوطًا إذ قال لقومه**) (١١٠) هـــو العامـــل في ((إذ)) وهو فعل مقدّر ، وتقديره : ((اذكر)) أيضًا (١١١)٠

ويرى أن إعمال الفعل المتأخّر إن كان في صلة ((أنْ)) المظهرة غير جائز ، ولكنه يجوز إن كان في صلة ((أنْ)) المحذوفة ؛ يقول في نصب ((غير)) في قوله تعالى: (**قُلْ أَ فَغَيرَ اللهِ تَأمُرُوِنّي**) (١١٢) : ((غيرَ : في نصبه وجهان : أحدهما أن يكون منصوبًا بـــ ((أعبدُ)) ، وتقديـــره : أعبدُ غيرَ اللهِ فيما تأمروني ٠ وأصله : أن أعبدَ ٠ إلا أنه حـــذف ((أن)) فارتفع الفعل ، ولو أظهرتَ ((أنْ)) لم يجز أن ينتصب ((غير)) بـــ ((أعبد)) ؛ لأن ما كان في صلة ((أن)) لا يجوز أن يعمل فيما قبلها ، إلا أنه لما حذف ((أن)) سقط حكمها ، والدليل على ذلك أن الفعل قـــد ارتفع ، ولو كان حكم ((أنْ)) ثابتًا لوجب أن يكون الفعل منصوبًا ، فلمّا لم ينصب دلّ على سقوط حكمها)) (١١٣)٠

والعوامل عند أبي البركات تتفاضل فيفضل بعضها بعضًا في الباب الواحد ؛ ففي إعـــــراب : ((أمَدًا)) في قوله تعالى : (**ثُمّ بَعَثْنَاكم لِنَعْلَمَ أيّ الحزبينِ أحصَى لما لَبِثُوا أمَدًا**) (١١٤) يقول : ((وأمدًا منصوب ؛ لأنه ظرف زمان ٠ وفي العامل فيه وجهان : أحدهما أن يكون العامـــل فيه ((أحصى)) ٠والثاني أن يكون العامل فيه ((لبثوا))٠ والوجه الأول أوجَهُ الوجهين (١١٥)٠

والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبل المضاف – على ما يرى (١١٦)٠

وجواب الشرط لا يعمل فيما قبل لفظ الشرط ، لأنّ رتبته بعده ، فلا يعمل فيما قبله (١١٧)٠

ولا يجوز – عنده – العطف بالواو على عاملـــين ؛ فلا يقال : إنّ في الدار زيدًا والقصـــــر

عمرًا ؛ بعطف ((عمرًا)) على ((زيدًا)) - بالواو - ((والقصر)) على ((الدار)) ؛ فيقيم الواو مقام عاملين وهما ((إنّ)) و ((في))٠ وقد صرّح الرجل بأنّ البصريين على خلافه ؛ لضعفه ؛ لأنّ قصارى الواو أن تقوم مقام عامل واحد- وفي جواز قيامها مقام عامل واحد خلاف- فكيف يجوز أن تقوم مقام عاملين) (١١٨)٠

والعامل اللفظي أقوى من العامل المعنوي ؛ قال في إعراب قوله تعالى : (وَ كَأَيِّن مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَه رِبِّيُّونَ) (١١٩) : ((.... ومن قرأه : ((قُتِلَ)) فرِبّيون مرفوع من ثلاثة أوجُهٍ٠٠٠ الثالث أن يكون مرفوعًا بالظرف - وهو مذهب سيبويه ؛ لأن الظرف وقع صفة لما قبله ، ففيه معنى الفعل فكان أولى من الابتداء لأنه عامل لفظي والابتداء عامل معنوي ٠ والعامل اللفظي أقوى من العامل المعوي)) (١٢٠) ٠

ويتحدّث عن رتبة العامل والمعمول فيقدّم رتبة العامل ؛ يقول -وهو يعرب ((إذ)) في قوله تعالى : (وإذْ قَالَ رَبُّكَ) (١٢١) : ((إذ : ظرف زمان ماضٍ٠ ٠٠٠ وهو في موضع نصب بفعل مقدّر ، وتقديره : واذكر إذ قال ربّك ٠ وقيل : العامل فيه : قال ٠ وقيل : لا يجوز أن يكون هو العامل ؛ لأنه مضاف إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ؛ لأن رتبة العامل قبل رتبة المعمول ورتبة المضاف إليه بعد المضاف ، فلم يعمل فيه ؛ لتنافي أن يكون كل واحد منهما قبل الآخر)) (١٢٢)٠

يضاف إلى ذلك أن الرجل كان يستعرض ما يمكن أن يتخيَّل من العوامل ويناقش ويبطل ما يبطل ليصل إلى عامل يرجّحه ثم يدلّل على رجحانه وصحّته ولو كان مقدّرًا غير ظاهر (١٢٣)٠

والآن -وبعد ما تقدّم- يمكننا أن نقول :إنّ أبا البركات كان يولي العامل النحويّ عناية عظيمة في البيان ، وفي غيره من كتبه ، ويدلُّك على ما أقول أنه خصَّص في إنصافه سبعًا وعشرين مسألة تحدّث فيها عن العامل والخلاف فيه بين نحويّي الكوفة والبصرة ، يضاف إليها مسائل أخرى متنوّعة تحدّث فيها عنه وهو بصدد الحديث عن مسائل نحوية أو صرفية مختلفة ٠ وقد كان العامل مسيطرًا على كثير من جوانب النحو عنده ،وكانت نظريّته على درجة عالية من التكامل والنضج في كتبه٠

وقـــد لاحظنا غلبة المنطق والفلسفة على العامل النحوي عنده ، وأنه -كسلفه من البصريين- يجري العوامل النحوية مجرى العوامل الحسّيّة.

وقـــد كان من أثر تمسُّك أبي البركات بالعامل النحوي أن جافَى الأساليب الوصفية في البحث النحوي ؛ شأنه في ذلك شأن أبي الحسن الأخفش (١٢٤) وجمهور البصريين (١٢٥) ؛ فَنَصْبُ المضارع بعد ((حتّى)) إنّما يتمُّ - عنده - بحرف مضمر هو ((أنْ)) ، وكذا بعد لام التعليـــل ، ولام الجحود وفاء السببية (١٢٦).

****

obeikandl.com

المبحث الرابع : موقفه من السماع :

أطلق أبو البركات مصطلح ((النقل)) وأراد به ((السماع)) ، وعرّفه بقوله : ((النقل : هو الكلام العربي الفصيح المنقول بالنقل الصحيح الخارج عن حدّ القلة إلى حدّ الكثـــرة ؛ فخرج عنه -إذن-ما جاء في كلام غير العرب من المولدين ، وما شذّ من كلامهم ؛ كالجزم بـــ ((لَنْ)) والنصب بـــ لم ...)) (١٢٧).

وقـــد حدّد السيوطيّ (ت :٩١١هـــ) السماع بقوله : ((وأعني به ما ثبت في كلام من يوثق بفصاحته ؛ فشمل كلام الله تعالى-وهو القرآن- وكلام نبيّه - صلى الله عليه وسلم - وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين نظمًا ونثرًا عن مسلم أو كافر).(١٢٨)

وقـــد قسم أبو البركات النقل إلى قسمين في قوله : ((اعلم أن النقل ينقسم إلى قسمين : تواتر وآحاد ؛ فأما التواتر فلغة القرآن ، وما تواتر من السنة وكلام العرب . وهذا القسم دليلٌ قطعيٌّ من أدلّة النحو يفيد الثبوت. وأمّـــا الآحاد فما تفرّد بنقله بعضُ أهل اللغة و لم يوجـــد فيه شرط التواتر وهو دليلٌ مأخوذٌ به)) (١٢٩).

والمسموع ثلاثة أنواع : القـــــرآن الكريم بقراءاته ، والحديث النبوي الشريف ، وكلام العرب النثري والشعري . وسنفرد لكل نوع حديثا مختصرا الآن :

أ ـــ القرآن الكريم بقراءاته :

احتلّ الشاهد القرآني عند عالمنا الكبير أعلى مراتب السماع ؛ فكل ما قرئ به يجوز-عنده-الاحتجاج به في العربية ، سواء أكان متواترًا أم شاذًّا أم آحادًا . وقـــد احتجّ بالقراءات الشاذّة في العربية التي لم تخالف قياسًا معروفًا ، بل والتي خالفته نراه يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه كما يُحتَجّ بالمجمع علىٰ وروده ومخالفتـــه القياس في ذلك الوارد بعينه ولا يقاس عليه ، نحو ((اسْتَحْوَذَ)) (١٣٠).

وقد إحتجّ الرجل - وهو بصدد إعراب الغريب - بالعديد من الشواهد القـــرآنية ، وقد بلغت شواهده القرآنية في البيان ستة وعشرين وأربعمائة تقريبًا . وسأكتفي بذكر مثال واحد يبين منهجه

في الاحتجاج بهذا المصدر العظيم : يقول- وهو بصدد إعراب غريب قولـــه تعالى : (**إن نَّقُولُ إلا اعتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنا بِسُوءٍ**) (١٣١) : ((إنْ : حرف نفي بمعنى ((ما)) ؛ أي: ما نقول إلا هذه المقالة . فالاستثناء هاهنا مما دلّ عليه الفعلُ من المصدر ؛ فإن الفعل قد يذكـــر ثم يستثنى من مدلوله كالمصدر والظرف والحال . والاستثناء من المصدر كقوله تعالى : (**أَ فَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ إلا مَوْتَتَنَا الأُولَى**) (١٣٢) ؛ فموتتنا : منصوب على الاستثناء لأنه مستثنى من ضروب الموت الذي دلّ عليها قوله: (بِمَيِّتِينَ). والاستثناء من الظرف كقوله تعالى : (**وَيَومَ يَحْشُرُهُم كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إلا سَاعَةً مِنَ النهارِ**) (١٣٣) ؛ ساعة : مستثنى مما دلّ عليه (لم يَلْبَثوا) وتقديره : كأن لم يلبثوا في الأوقات إلا ساعة من النهار . والاستثناء من الحال كقوله تعالى : (**ضُرِبَتْ عليهم الذِّلَّةُ أينما ثُقِفوا إلا بِحَبْلٍ مِنِ اللهِ**) (١٣٤) وتقديره : ضربت عليهم الذلة في جميع الأوقات أينما ثقفوا إلا متمسّكين بحبل من الله ؛ أي : عهد من الله) (١٣٥).

وقد أشرنا في المبحث الأول إلى منهجه في الاستشهاد بالقـــرآن الكريم وسوف نخصّصُ المبحث التالي لبيان موقفه من القراءات ومنهجه في الاستشهاد بها .

ب_ *الحديث النبويّ الشريف* :

لا يختلف موقف أبي البركات كثيرًا عن موقف أسلافه من النحويين المتقدمين الذين رفضوا الاستشهاد بالحديث وهم لا يشكُّون في فصاحته ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ فالرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – أفصح من نطق بالضاد عند النحويين جميعًا ؛ هـــذا مما لا يُختَلَفُ عليه ولا يشكّ فيه ؛ ولكنهم يستبعدونه من مصادر الاستشهاد بحجّة أنه يجوز روايته بالمعنى وأن عددًا من رواته من الأعاجم الذين قد يتطرق اللحن إلى ألسنتهم . ولا يتسع المقام هاهنا لمناقشة قضية الاحتجاج بالحديث الشريف وإعطائها حقّها ، وقد ناقشناها بتفصيل في عمل سابق فارجع إليه إن شئت .

وقد وجدت في كتاب البيان حديثين اثنين استدل صاحبنا أبو البركات بالأول على أنّ عِلِّيِّينَ اسم مكان في قوله تعالى : (**كَلا إنَّ كِتَابَ الأبرارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ؛ وَ مَا أدراكَ مَاعِلِّيُّونَ، كِتَابٌ مَرْقُومٌ**) (١٣٦) ؛ قال : ((قوله تعالى (كتاب) (١٣٧) مرفوع ؛لأنه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هـــو كتابٌ مرقوم ؛ أي:هو في موضوع كتاب مر قوم.وكذا التقدير في: (عِلِّيُّونَ ، كِتَابٌ مَرْقُوم) (١٣٨)

فحذف المبتدأ والمضاف جميعًا ؛ وإنما وجب هذا التقدير ، لقيام الدليل على أن ((عِلِّيِّينَ)) مكان ؛ قال النبيُّ – صلّى اللهُ عليه وسلم –((إنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أهلَ عِلِّيِّينَ كما يُرَى الكوكبُ الذي في أُفُقِ السماءِ وإنّ أبا بكرٍ وعُمَرَ مِنهُمْ))٠ (١٣٩) ٠ واستدلّ بالثاني على مجيء ((نبيّ)) بالهمز وبغير الهمز ؛ فمن قرأه بالهمز جعله من ((النَّبَاءِ))وهو الخبر ، ومن جعله بغير الهمز، فيحتمل أن يكون مأخوذًا من ((النباوة)) أي بمعنى الارتفاع ، ويحتمل أن يكون من ((النَّبْأ)) وهو الخبر ؛ فأبدل من همزته ياء وأدغم الياء في الياء ، ثم جاء في الكتاب: ((وجاء في الحديث أن رجلاً جاء إلى النّبي – صلى الله عليه وسلم – فقال يا نبيء الله – بالهمز – فقال عليه السلام : إنما أنا نبيُّ الله ، بغير همز. وإنما قاله عليه السلام بغير همز لأنّ الهمز لم يكن من لغته ، فلذلك ترك همزه)) (١٤٠) ٠

ج ــ كلام العرب :

أما موقفه من لغات العرب فهو موقف معتدل ؛ حيث نراه يعتدُّ اعتداداً كبيرًا بهذا المصدر ، مما يجعله يقبل القراءة الشاذّة إذا حملت على لغة من لغاتهم – كما سنبين – وهو مع هذا لا يُعَوِّلُ على اللغة القليلة الشاذّة ؛ يقول :. ((الذين : اسم موصول يفتقر إلى صلة وعائد ، وهو صيغة مرتجلة للجمع ، وليس بجمع ((الذي)) على حدّ : زيد و زَيدِينَ ؛ لأنه لو كان كذلك لوجب أن يكون معربًا ، ويكون في الرفع بالواو والنون ، وفي الجر والنصب بالياء والنون ، وليس كذلك ؛ بل هو مبنيٌّ على صورة واحدة في جميع الأحوال ولا تخريج على لغة من قال : اللذونَ – في الرفع – واللذين في الجر والنصب لقلّتها وشذوذها)) (١٤١)٠

ونراه يُجَوِّزُ كسرَ نون المضارع وتائه وهمزته في الفعل ((نستعين)) وفي نظائره ،على لغة لبعض العرب (١٤٢) ٠

ويحكي عن بعض العرب لغة يُبْدِلُ فيها أصحابُها من الألف مع المشدَّد همزة ؛ يقول : ((على أن بعض العرب يُبْدِلُ من الألف مع المشدّد همزة ، فقد قالوا :وَلّ حَأرّها من تولّى قأرّها ؛ لأنه رام أن يحرّك الألف لالتقاء الساكنين ، فلم يمكن تحريكها ، فأبدل منها الهمزة لقربها في المخرج ٠ وعلى هذه اللغة قرئ في الشواذّ : (وَتَرَى الشمسَ إذا طَلَعَتْ تَزْوَأرُّ عَنْ كَهْفِهِم)(١٤٣) ، (وَلا الضّأّلّين) – بإبدال الألف همزة)) (١٤٤)٠

ويذكر لغة أخرى في ((آمين)) ، يقول : ((وفيه لغتان : القصر والمد ؛ قال الشاعر في القصر :

تَبَاعدَ مِنّي فُطْحُلٌ وَابْنُ أُمِّهِ أَمِينَ فزاد الله مَا بَيْنَنا بُعْدَا

وقال أخر في المد :

يارَبّ لا تَسْلُبَنّي حُبَّها أبَدا ويَرْحَمُ اللهُ عبْدًا قالَ آمِينَا)) (١٤٥)

وَيُعَلَّقُ على اللغتين بقوله : ((وأمين – بالقصر – على وزن ((فَعِيل)) وآمين–بالمدّ– فهو على وزن ((فاعيل))٠ وهذا البناء ليس من أبنية كلام العرب وإنما هو من أبنية كـــلام العَجَم)) (١٤٦)٠

ونراه يستدلّ على اسمية ((كيف)) في قوله تعـــالى : (كيف تَكْفُرُونَ بِاللهِ)(١٤٧) بمسموع عن العرب ؛ يقول : ((كيف : في الدلالة على ا سميتها وجهان : أحدهما ما حكي عن العـــرب أنهم قالوا : على كَيْفَ تبيعُ الأحمرَين٠ فأدخلوا عليها حرف الجر ، فدلّ على أنها اسم ٠٠٠)) (١٤٨) ٠

وحكى عن الكسائيّ (ت : ١٨٩هـــ) عن العرب أنهم قالوا : اللهمّ اغفر لي خطائيّه ٠ مثل ((خطا عِبّيه)) (١٤٩)٠

ونراه يحكي عن العـــــرب لغة تُبْدَلُ فيها الهمزة هاءً في نحو : إيّاك ، إبرية ، أرحْتُ الدّابّة ، أنرْتُ الثوبَ ، مُؤيمن (١٥٠)٠ ويحكي عنهم أيضًا لغة تُكسَر فيها ياء المتكـــلم في ((مُصْرِخِيّ)) في قوله تعالى : (وما أنتم بِمُصْرِخِيّ) (١٥١)٠ وهي لغة حكم النحويون عليها بالرداءة في القيـــاس ٠ ولكنه يخالفهم في حكمهم ، يوجّهها ، ويعزوها لمن حكاها عن العرب (١٥٢)٠

وقد تحدّث الرجل عرَضًا عن لغة بني الحارث بن كعب في قولهـــم : مررتُ برجلانِ ، وقبضتُ منه درهمانِ – بقلب الياء المفتوحة هاهنا ألفًا اكتفاءً بأحد الشرطين (١٥٣) ٠ وتحدّث عرَضًا عن لغة ((أكلوني البراغيث)) في عدة مواضع في الكتاب ، وهي –عنده – غير فصيحة (١٥٤)٠

وحمل قراءة : (فلَوَلا كانتْ قريةٌ آمنَتْ فنفعَها إيمانُها إلا قومُ يونُس)(١٥٥)–برفع ((قوم))– على لغة بني تميم ؛ لأنهم يجيزون تبعية المستثنى للمستثنى منه إعرابيًا وإن كان من غير جنسه كما في قول الشاعر:

وَبَلْدَةٍ لَيسَ بِها أنيسُ إلا اليَعَافيرُ وإلا العِيسُ (١٥٦)٠

ومن مظاهر اعتداده بالمسموع عن العرب أنه رفض إشمام همزة ((اؤتُمِن)) شيئاً من الضمّ لأنها على خلاف كلام العرب ؛ لأنهم إنما ينقلون حركة الحرف إلى ما قبله لا إلى ما بعده ، وهذا نقل إلى ما بعده لا إلى ما قبله (١٥٧)٠

وهو في عرضه للغات العرب يحرص على ترجيح لغة منها ؛ يقـــول في إعراب قول الحق تبارك وتعالى : (ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ) (١٥٨) : ((إنما وحّد الكاف وإن كان الخطاب لجماعة ؛ لأنه أراد به الجمع ، كأنه قال : أيها الجمع .والجمع لفظه مفرد ، وهي لغة لبعض العرب ، ويجوز أن يثنى ويجمع على العدد ؛ كقوله تعالى :(ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ) (١٥٩) . وقد جاء التنزيل بهما. وتثنيتهما وجمعهما على العدد أكثر اللغتين)) (١٦٠) .

هـــــذا ، وقد استشهد الرجل بالعديد من أقوال العرب وأمثالهم وحكمهم منها - على سبيل التمثيل لا الحصر-قولهم ☹(إذا بلغ الرجلُ الستّينَ فإيّاه وإيّا الشوابِّ))- بجرّ ((الشوابِّ)) شاهدًا على أنّ ((إيّا)) اسم مظهر مضاف إلى ما بعده ، على رأيٍ لبعض النحويين (١٦١). ومنها قولهم : ((تسمعَ بالمُعَيْدِيِّ خيرٌ من أن تراه)) شاهدًا على أن الفعل ((تسمعَ)) منزّلٌ منزلة المصـــــــدر ((سماعك)) (١٦٢). ومنها قولهم :((على كَيْفَ تَبِيعُ الأَحْمَرَيْنِ)) وذكـــــره شاهدًا على اسمية ((كيف)) لدخول حرف الجرّ عليها (١٦٣). ومنها قولهم : ((أتت الناقةُ على مَضربِها)) شاهدًا على أنّ ((مَضْرِبًا)) اسم زمان من ((ضَرَبَ)) والمعنى : أتت على الوقت الذي ضربها الفحل فيه (١٦٤). وقولهم : ((إنّ في ألف درهمٍ لَمَضرَبًا)) ؛ أي : ضَرَبًا ،ذكره شاهدًا على أنّ ((مَفْعَلاً)) -بالفتح-مصدر (١٦٥). و قول الزبير: ((إنّ وراكبَها)) لرجل من العرب جاء إليه يستحملُه فلم يحملْه ، بعد أنْ قال له : لعن الله ناقةً حملتني إليك (١٦٦).

وإذا ما انتقلنا إلى الشاهد الشعري وجدنا الرجـــــل يستشهد في الكتاب بتسعين ومائة شاهد تنوّعت بحورُها فشملت معظم البحور العروضية المعروفة . وقـــــــد لاحظتُ-من خلال معايشتي للكتاب-أنّ شعراءه قد تنوّعت طبقاتهم ، وأنّ أغلب شواهده من شواهد سيبويه ، وهي شواهـــــد موثّقة -إلى حدٍّ كبير.

وقد لاحظتُ على منهجه في الاستشهاد بالشعر ما يلي :

ـــ أنّ شواهده - مع كثرتها - لم تُنسب لقائليها إلا في القليل النادر.

ـــ أنه يكتفي -في بعض الأحيان- بالشاهد الشعري لتأييد ما هو بصدده ؛ فقد اكتفى بقول الشاعر:

يَاخاتَمَ النُّبآءِ إنّكَ مُرْسَلٌ بِالحقِّ ، كُلُّ هُدَى السبيلِ هُدَاكَا

شاهدًا على أن ((نَبِيئًا))-بالهمز-من ((النُباءِ)) الذي هو الخبر والذي يجمع على((نُبَآء)) (١٦٧)٠

واكتفى في الاستدلال على إقامة المظهر مقام المضمر بقول الآخر :

لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ ....

أراد : يسبقه شيء (١٦٨)٠

واكتفى في الاستدلال على إقامة الماضي مقام المستقبل بقول الآخر :

وكنتُ أرى كالموتِ من بين ليلةٍ فكيف ببينٍ كان ميعادهُ الحشر

أراد : يكون ميعاده الحشر (١٦٩)٠ وعلى إقامة المستقبل مقام الماضي بقول الآخـــر :

وإذا مررتَ بقـــبره فاخر لَـــهُ كُومَ الهجانِ وكلّ طرفٍ سابحِ

وانضحْ جوانبَ قـــبره بدمائها فلقد يكونُ أخا دَمٍ وذبائـــــحِ

أي : فلقد كان (١٧٠)٠

ونراه يكتفي في الاستدلال على مجيء الحال من الفاعل والمفعول معًا بقول الشاعر :

متى مـــا تلقَني فرْدَينِ تَرْجُـــفُ روائـــــلفُ إلْيَتَـــيْكَ وتستطارا

وبقول الآخـــــر :

فلئن لقِيتُكَ خالِيَـــيْنِ لَتَعْلَمَـــنْ .....(١٧١)٠

ـــ لا يلتزم الرجل طريقة واحدة فيما يتعلّقُ بإيراد الأبيات المستشهد بها ؛ فقد كان – في الغالب- يذكر البيت كاملاً ، وكان في بعض الأحيان يكتفي بذكر شطرٍ واحدٍ منه ٠

****

المبحث الخامس : موقفه من القراءات :

تتبّع أبو البركات القراءات الأخرى في الآية الكريمة التي هو بصدد إعرابها ؛ فكان يذكرها أوّلاً مفصّلة ثم يعود فيوجّه كلّ قراءة التوجيه النحويّ المناسب . وكان ينصّ على أنّ القراءة سُنّةٌ مُتّبَعَةٌ وإنْ خرجت على القياس -وهذا صحيح ؛ فكلمة ((اسْتَحْوَذَ)) - مثلاً- مستعملة متداولة مع أنّ القياس فيها ((اسْتَحَاذَ)) ، يقول - وهو يوجّه الآية الكريمة : (لا بَيْعٌ فيهِ ولا خُلّةٌ ولا شفاعةٌ) (١٧٢) : ((قرئ بالرفع والبناء على الفتح ، فالرفع بالابتداء ، أو على أن يجعل ((لا)) بمعنى ((ليس)) ، وفيه : الخبرُ . والبناء على الفتح ؛ لما بيّنا من قبلُ ، ويجوز فيه في العربية عِدّة أوجُه ، والقراءة سُنّةٌ مُتّبَعَةٌ)) (١٧٣) .

ويقول في موضع آخر - وهو بصدد توجيه الآية الكريمة :(وقُولوا للناسِ حُسْنًا) (١٧٤) - : ((حسنا : فيه ثلاث قراءات : (حُسْنًا) - بضم الحاء وسكون السين - و (حَسَنًا) - بفتح الحاء والسين - و (حُسْنَا) -بألف ممالة . فمن قرأ : (حُسْنًا)- بالضمّ- كان منصوبًا ؛ لأن التقدير : قولوا قولا ذا حُسْنٍ ؛ فَحُذِفَ المصدر وصفته وأُقيم ما أضيفت الصفة إليه مقام المصدر ، ومن قرأ (حَسَنًا)- بفتح الحاء والسين - كان صفة لمصدر محذوف ، وتقديره : قَولا حَسَنًا . ومن قرأ : (حُسْنَا)- بألف ممالة- كان اسمًا مشتقًّا من الُحْسنِ مؤنّثًا بألف التأنيث . وهذه القراءة ضعيفة في القياس ؛ لأن باب ((فُعْلَى)) و ((أفعَل)) لا يستعمل إلا مضافًا أو معرَّفًا بالألف واللام ، ولم يوجد واحد منهما)) (١٧٥).

وقال في موضع ثالث وهو يوجه الآية الكريمة: (مالِكِ يومِ الدّينِ) (١٧٦) :((وفي : (مالك) خمس قراءات ، وهي : مالِكِ ، مَلِك ، مَلْك ، مَلِيك ، ملاك . وفيها في العربية أحدٌ وثلاثون وجهًا ؛ يقال : مالِكِ - بالجر- على البدل ، والرفع على تقدير مبتدأ ، والنصب على المدح وعلى النداء وعلى الحال وعلى البدل على قراءة من قرأ : (رَبُّ العالمين) (١٧٧) - بالنصب - فهذه ستة أوجه وفي (مَلِك) مثلها ، وفي (مَلِيك) مثلها ، وفي (مَلْك) مثلها ، وفي (ملاك) مثلها . فهذه خمس قراءات ، في كل قراءة ستة أوجه . وخمسةٌ في ستّةٍ ثلاثون . والأحد والثلاثون قراءة أبي حَيْوَة : (مَلَكَ يومَ الدّينِ) (١٧٨) .

وأبو البركات لا يسلك منهجًا واحدًا فيما يتعلّق بنسبة القراءات إلى أصحابها ، فقراءاته غير

المنسوبة أكثر بكثير من قراءاته المنسوبة ؛ فلم ينسب إلا قراءة لابن عباس (١٧٩) ، وأخرى للحسن البصريّ (١٨٠) ، وثالثة له ولمجاهـــد (١٨١) ، ورابعة لأبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني (١٨٢) ، وخامسة له أيضًا (١٨٣)، وسادسة لابن كثير (١٨٤) ، وسابعة لابن عامـــــر (١٨٥) ، وثامنة له أيضًا (١٨٦) ٠وتاسعة لعيسى بن عمر ومحمّـــد بن مروان (١٨٧) ، وعاشرة للزهري (١٨٨) وحادية عشرة للأعمش (١٨٩) ، وثانية عشرة لأُبَيّ بن كعب (١٩٠) ، وثالثة عشرة لأبي عمـــرو (١٩١)٠وما عدا ذلك فهي قراءات غير منسوبة ، وهي كثيرة ٠

وقد وضع الرجل بعض المعايير لتقويم القراءة ، منها : مطابقتها للغة من لغات العرب ،وموافقتها العـــربية ولو بوجه ؛ أعني : موافقتها مذهبًا من مذاهب النحويين ، و منها أيضًا : استقامة معناها ، ومنها : موافقتها الرسم المصحفي ٠

فالقراءة مقبولة إن وافقت لغة من لغات العرب ، يقول : ((و قرئ : (أوصىٰ) ، وهما لغتان)) (١٩٢)٥ وذلك في قوله تعالى : (وَوَصَّى بِها إبراهيمُ بنيهِ) (١٩٣) ٠ ويقول- وهـــو بصدد توجيه الآية الكـــريمة ☹ما شَهِدْنا مَهْلِكَ أهلِه) (١٩٤)- ((قرئ : (مُهْلَك) بضم الميم ، و (مَهْلَك) بفتح الميم واللام ، و (مَهْلِك) بفتح الميم وكسر اللام ؛ فمن قـــرأ : (مُهْلَك)- بضم الميم -أراد به الإهلاك مصدر ((أَهْلَك)) ، ومن قرأ بفتح الميم واللام أراد به الهلاك مصدر ((هَلَكَ))، ومن قرأ: (مَهْلِك) بفتح الميم وكسر اللام جعله بمعنى الهلاك أيضًا ؛ بمعنى : هلك ، وهما لغتان٠ والمشهور الأكثـــر في المصدر الفتح ،والكسر قليل)) (١٩٥)٠

وكان الرجل يحمل القـــراءة على ما يوافقها من لغات العرب ؛ يقول -وهو يعرب قوله تبارك وتعالى: (كذٰلك يُوحِي إليكَ وإلى الذينَ من قبلِكَ اللهُ العزيزُ الرحيمُ)(١٩٦) :((ومن قـــرأ : (يوحىٰ) كان في رفع اسم الله ثلاثة أوجه : الأول : أن يكون مرفوعًا بفعل مقدّر دلّ عليه (يوحىٰ) كقراءة من قرأ:(يُسَبِّحُ لهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رِجَالٌ)(١٩٧) ؛ رفع رجالاً بفعل مقدّر ، وتقديره :يُسَبِّحُهُ رِجَالٌ، كقول الشاعر :

لِيبْكَ يَزيدُ ضَارِعٌ لخصومةٍ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠

فضارع : مرفوع بفعل مقدّر ، وتقديره : يبكيه ضارعٌ لخصومة ٠٠٠٠)) (١٩٨) ٠

والقراءة عنده مقبولة أيضًا إذ ا وافقت وجهًا في العربية أو مذهبًا من مذاهب النحاة ، يقول – وهو يعرب قولـه تعالى– (مَا نَنْسَخْ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنْسِهَا) (١٩٩) : ((وقرئ (ننسخ) بفتح النون وضمها ؛ فمن قرأ بالفتح جعله من : نَسَخْتُ الشيءَ ؛ إذا رفعته ، ومن قـــرأ بالضم جعله من : أ نسختُ فلانًا عن الشيء ؛ إذا حملته على نسخه . و (ننسأها) : قرئ بفتح النون بالهمـــز و (ننسها) بضم النون بغير همز ؛ فمن قرأ بالفتح جعله من ((نَسَأْتُ)) أي : أخَّرْت. ومن قـــرأ بالضمّ بغير همز جعله من ((أَنْسَيْتُ)) فلانًا الشيءَ ، إذا حملته على تركه)) (٢٠٠) .

ويقول في موضع آخر تعليقًا على الآية الكريمة : (لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين) (٢٠١) : ((و قرئ : (لعنة الله والملائكةُ والناسُ أجمعون) برفع (الملائكة ،والناس) بالعطف على موضع اسم الله تعالى ، وهو في موضع رفع ، لأن تقديره : أولئك يلعنهم الله ؛ كقولك : يعجبني قيامُ زيدٍ وعمروٌ وبشرٌ ؛ ترفع عمرًا وبشرًا بالعطف على موضع زيد – وموضعه رفع – لأن التقدير : يعجبني أن يقوم زيدٌ . والحمل على الموضع كثير في كلامهم)) (٢٠٢) .

وهو يؤكّد أن القراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ ،يقول– وهو يعرب قوله تعالى : (لا بَيْعٌ فيه ولا خُلَّةٌ ولا شَفَاعَةٌ) (٢٠٣) : ((وقرئ بالرفع والبناء على الفتح ؛ فالرفع بالابتداء ، أو على أن يجعل ((لا)) بمعنى ((ليس))، وفيه : الخبر . والبناء على الفتح لما بيّنا من قبل . ويـــجوز فيه في العربية عِدّة أوجه. والقراءة سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ)) (٢٠٤).

وله موقفٌ معتدِلٌ من القراءة الشاذّة ؛ لأنّه يقبلها إن وافقت وجهًا في العربية أو لغة من لغات العـــرب ؛ يقول : ((على أن بعض العرب يبدل من الألف مع المشدّد همزة... لأنه رام أن يحرّك الألف لالتقاء الساكنين فلم يمكن تحريكها ، فأبدل منها الهمزة لقربها في المخرج. وعلى هذه اللغة قرئ في الشواذّ: (وترَى الشمسَ إذا طَلَعَتْ تَزْوَارُّ عن كَهْفِهِمْ) (٢٠٥) ، (ولا الضألّين)(٢٠٦) بإبدال الألف همزة))(٢٠٧) . ويقـــول في موضع آخر – وهـــو يعرب قوله تعالى : (بالغدُوّ والآصالِ) (٢٠٨) – ((وقرئ في الشواذّ : (والإيصال) –بكسر الهمزة ؛ مصدر ((أصّلنا)) إذا دخلنا في الأصيل ، كما يقال : أصبحنا ؛ أي : دخلنا في الصباح ، وأظهرنا ؛ أي : دخلنا في وقت الظهر))(٢٠٩).ويقول في موضع آخر–في قوله تعالى : (تنزيلَ العزيزِ الرحيمِ)(٢١٠) :((وقرئ)) في الشواذّ: (تنزيلِ) بالجر على البدل من ((صراط)) ؛ لأن الصراط هو القرآن)) (٢١١).

والقـــراءة التي ينكرها النحويون إن وافقت وجهًا في العربية أو أمكن حملها على لغة من لغات العرب فهي مقبولة عنده ، يوجّهها تَبَعًا للغة التي تحمل عليها وتوافقها ؛ ومما يدلك على ذلك قولـه وهو يعرب الآية الكريمة : (وأنّه أَهْلَكَ عَادًا الأولى) (٢١٢) : ((وقـــرأ أبو عمرو ونافع بإدغام التنوين في اللام من ((الأولى)) بعد حذف الهمزة وإلقاء حركتها على لام التعريف قبلها. وأنكرها بعض النحويين ؛ لأنهما أدغما ساكنين فيما أصله السكون وحركته عارضة ، والحـركة العارضة لا يعتدُّ بها ؛ فاللام وإن كانت متحرّكة بالضمّة التي نقلت إليها من الهمزة المحذوفة ، فهي في تقـــدير السكون ، والساكن لا يدغم في ساكن . وَوَجْهُ هذه القراءة أنه قد صحّ عن العـرب أنهم قالوا في ((الْأَحْمَرِ)) : ((لَحْمَر)) ؛ فاعتدّوا بحركة اللام فحذفوا همزة الوصل ، ولو كانت في تقـــدير السكون لكان يجب ألا تحذف الهمـــزة ، فلما ابتدأوا بها واستغنوا بها عن همزة الوصل دلّ على أنّ حركة اللام معتدٌّ بها ، وإذا كانت معتدًّا بها جاز إدغام التنوين فيها ؛ لأنه إدغام ساكن في متحرك)) (٢١٣).

والقراءة التي توافق وجهًا في العربية حُكِمَ عليه بالشذوذ نراه يوجّهها ولا يتهكّم عليها ، وهذا موقف معتدل منه تجاه هذا المصدر العظيم يدلّك على مدى تقديره واحترامه للشاهد القرآني واعتداده به ، يقول-وهو يعرب الآية الكريمة : (لَيُخْرِجَنّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) (٢١٤) : ((وهذا وجه الكلام وهي القراءة المشهورة . ويقرأ : (لَيَخْرُجَنّ) -بفتح الياء -وهو فعل لازم مضارع ((خرج)) ، إلا أنه نصب الأول على الحال ، وهـــو شاذ ؛ لأن الحال لا يكون فيها الألف واللام ، كقولهـــم : ((مررتُ به المسكين)) منصوب على الحال ، وقولهم : ((ادخلوا الأوّلَ فالأوّلَ)) - بالنصب - وهو من الشاذ الذي لا يقاس عليه)) (٢١٥) .

والرجل يشترط في القراءة أن تودي إلى معنى مستقيم وإلا كانت ضعيفة غير مقبولة ؛ يقول - وهو بصدد الحديث عن إعراب الآية الكريمة : (إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يُسْحَبُونَ) (٢١٦) ((وقرئ : (والسلاسلِ) - بالجر- بالعطف على ((أعناقهم)) ، وهي قـــراءة ضعيفة ؛ لأنه يصير المعنى : الأغلال في الأعناق والسلاسل. ولا معنى للأغلال في السلاسل . وقيل : هـــو معطوف على ((الحميم)). وهذا ضعيف جدا ؛ لأن المعطوف المجرور لا يتقدم على المعطوف عليه وقـــد يجب التقديم للضرورة قليلاً في المرفوع ، وفي المنصوب أقلّ منه . ولم يجئ ذلك في المجرور ،ولم يُجِزْهُ أحد ((ألبتة)) (٢١٧).

موقفه من قراءة ابن عامر : (وكذلِكَ زُيِّنَ لكثيرٍ من المشركينَ قتلُ أولادَهم شركائهم) (٢١٨) :

ينصُّ أبو البركات على أن هذه القـــراءة ضعيفة في القياس بإجماع النحويين ؛ حيث يقول : ((ومن قرأ بضم الزاي وكسر الياء فهو فعل ما لم يسمّ فاعله. و ((قَتْلُ)) مرفوع ؛ لأنّـه مفعـــول ما لم يسمّ فاعله. وأما نصب ((أولادهم)) وجرّ ((شركائهم)) فهـــو ضعيـــف في القياس جداً ، وتقديره : زُيِّن قتلُ شركائهم أولادَهم ؛ فقدّم وأخّر ، وفصل بين المضاف والمضـاف إليه بالمفعول ؛ كقول الشاعر:

فَزَجْجْتُها بمِزَجَّـةٍ زَجَّ القلوصَ بني مزاده

أي : زج أبي مزادة القلوص ، وكقول الشاعر :

يَطُفْنَ بجوزيِّ المراتعِ لم يُرَع بواديه مِنْ قَرْعِ القِسِيِّ الكنائن

أي : قرع الكنائن القسيَّ . ومثل هـــذا لا يكون في اختيار الكلام بالإجماع واختلفوا في ضرورة الشعر ؛ فأجازه الكوفيون وأباه البصريون . وهذه القراءة ضعيفة في القياس بالإجماع . وروى أيضاً عن ابن عامر أنهّ قرأ : (قتلُ أولادِهم شركائهم) – بجرّ الأولاد والشركاء – على أن يجعل الشركاء بدلاً من الأولاد ؛ لأنّ الأولاد يشاركون أباهم في الأموال والنسب والدين . وقراءة ابن عامـــر هذه أشبه من قراءته الأولى وإن كانت لا تَنْفَكُّ من بُعْدٍ)) (٢١٩) .

موقفه من قراءة : (لكم فيها معائش) (٢٢٠) :

يرى أبو البركات أنّ همز ((معايش)) لا يجـوز ؛ لأنّ فيها الياء أصلية ، وأصلها في الواحد أن تكون متحركة ، ولو كانت زائدة أصلها في الواحـــد السكون ومع هذا لا يتجرّأ على قراءة ((معائش))– بالهمز– ولكنه يلتمس لها وجهاً في العربية ؛ يقـــول : ((. . .ولا يجوز همزها ؛ لأنّ فيها الياء أصلية. وأصلها في الواحـــد أن تكون متحركة ، ولو كانت زائدة أصلها في الواحد السكون ، نحو : ((كَتِيبة)) على ((فَعيلة)) لهمزت في الجمـــع ، نحـــو ((كتائب)). وقد قرئ : ((معائش)) بالهمز؛ على تشبيه الأصلية بالزائدة ، وهي قـــراءة ضعيفة في القياس)) (٢٢١) .

تقييم موقف أبي البركات من القراءات في ضوء موقف النحاة المتقدمين :

يتبيّن مما سبق أن لأبي البركات موقفًا معتدلاً من القـــراءات ؛ فهو يرى أنّ القراءة سُنّةٌ مُتّبَعَةٌ ينبغي تقديرها والاعتداد بها اعتدادًا عظيمًا ، إذ إنها من القرآن ، وما كان من القرآن فهو أولى بالقبول وأجدر بالتفصيل . ومع أنه بصريُّ المذهب في النحو إلا أنه لم يقف ذلك الموقف الذي وقفه شيوخ البصرة من القـــراءات ، ولعلنا لاحظنا موقفه من قراءة ابن عامر السابقة ، في حين أننا نجد البصريين يرفضونها ، ومنهم من رماها بالقبح ، ومنهم من رماها بالخطأ ، ومنهم من رماها بالرداءة ، ومنهـــم من صرّح بأنها لا تحلّ القراءة بها . ولكن الرجل اكتفى بأن ذكر أنها ضعيفة في القياس بإجماع النحاة و لم يتجرّأ عليها .

وكذلك نراه يقف ذلك الموقف من قراءة ((معائش)) – بالهمز– فاكتفى بأن ذكر أنها ضعيفة في القياس بعد أن حملها على وجهها الصحيح ، وهو موقف معتدل منه ؛ إذا إنها قـــراءة واردة عن كثير من القراء ، ومنهم نافع في رواية خارجة ، وابن عامر في إحدى رواياته . وهو موقف يتعارض مع موقف جمهور النحاة ؛ فسيبويه قد وضع القاعـــدة التي تصطدم بها هذه القـــراءة ، ثم جاء أبو عثمان المازني فخطّأها صـــراحةً (٢٢٢) ، وجاء الأخفش فرماها بالرداءة (٢٢٣) ، وخطّأها ابن الأثير (٢٢٤) ، ورماها ابن خالويه باللحن والغلط (٢٢٥) .

****

المبحث السادس : موقفه من القياس :

عني النحاة قديمًا وحديثًا بالقياس ، فها هم يعرّفون النحـــــو بأنه عِلْمٌ بمقاييسَ مستنبطة من استقراء كلام العرب ، وها هو الكسائيّ يجعل النحو قياسًا يُتّبَعُ (٢٢٦). ويقول أحـــد الباحثين المعاصرين : ((ولستُ أعقل النحو إلا استقراءً ثم قياسًا)) (٢٢٧) .

وقد عرّف العلماء القياس بأنه حمل غير المنقول على المنقول في حكمٍ لعلّةٍ جامعة (٢٢٨) .

وحُكي أنّ أوّل من بَعَجَ النحو ومدّ القياس وشرح العلل هو عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ وأنّ يونس بن حبيب عندما سئل : هل يقول أحـــدٌ الصَّويق ؟ يعني السَّويق . قال :نعم ، عمرو بن تميم تقولها . وما تريد إلى هذا عليك بباب في النحو يَطّرِدُ وينقاسُ (٢٢٩).

وكان الخليل بن أحمد الفراهيديّ سيّد قومه وكاشف قناع القياس ، كما ذكـــر ابن جني ، وإليه يرجع الفضل في إظهار معالمه ووضع رسومه ومناهجه ، ثم جاء سيبويه فحمل علم شيخه وزاد عليه والناظر في كتابه يرى كثيرًا من أنماط القياس مبعثرة في كثير من أبوابه في النحو والتصريف ، ثم جاء الفارسيّ فزادت عنايته بالقياس حتى وجدناه يصـــرّح لتلميذه ابن جني بأنّ الخطأ في خمسين مسألة في اللغة أحبُّ إليه من الخطأ في مسألة واحدة من القياس (٢٣٠). ثم انتقل إلى ابن جني وقد بلغ الذروة ؛ حيث نراه يُغري به ويحضّ عليه ويبيح فيه الارتجال ، وذلك في قولـــه : ((للإنسان أن يرتجل من المذاهب ما يدعو إليه القياس ما لم يَلْوِ بنصٍّ أو ينتهك حرمة شرع)) (٢٣١) .

كان هذا موقف أشهر علمائنا القدامى حتّى القرن الرابع الهجري . ***فما هو موقف عالمنا أبي البركات من القياس ؟***

زادت عناية أبي البركات بالقياس عن سابقيه فصنّف كتابه الشهير ((لُمَع الأدلّة)) ليكون للنحو بمثابة علم الأصول للفقه . وقـــد عقد فيه فصولاً في القياس ؛ عرّفه ، وبيّن تراكيبه وأقسامه التي هي قياس علّة وقياس شبه وقياس طرد ؛ على حـــدّ ما فعل علماء أصول الفقه بالفقه فهو يرى أن بينهما من المناسبة ما لا خفاء به ؛ لأن النحو معقول من منقول كما أنّ الفقه معقول من منقول (٢٣٢) .

فالرجـــل مولع بالقياس ، وأنه لابدّ لكلّ قياس عنده من أربعة أشياء : أصل وفرع وعلة وحكم يطبقها في قولـــه : ((وذلك مثل أن تركب قياسًا في الدلالة على رفع ما لم يسمَّ فاعله فتقول : اسم أسند الفعل إليه مقدّمًا عليه فوجب أن يكون مرفوعًا قياسًا على الفاعل. فالأصل هو الفاعل والفرع هو ما لم يسم فاعله . والعلة الجامعـــة هي الإسناد. والحكم هو الرفع . والأصل في الرفع أن يكون

للأصل الذي هو الفاعل ، وإنما أجري على الفرع الذي هو ما لم يسمَّ فاعله بالعلّة الجامعة التي هي الإسناد. وعلى هذا النحو تركيب قياس كلّ قياس من أقيسة النحو)) (٢٣٣)

والرجل يعقد فصلاً في لُمَعِه – وهو الفصل الحادي عشر – في الردّ على منكري القياس يستهلّه بقوله : ((اعلم أن إنكار القياس في النحو لا يتحقّق ؛ لأن النحو كلّه قياس ، ولهذا قيل في حدّه : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ؛ فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ، ولا نعلم أحداً من العلماء أنكره ، لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة ، وذلك أن أئمة الأمة من السلف والخلف أجمعوا قاطبة على أنه شرط في رتبة الاجتهاد..... فلو قلنا إن النحو ثبت نقلاً لا قياساً وعقلاً لأدّى ذلك إلى رفع الفرق بين اللغة والنحو ، وإلى التسوية بين المقيس والمنقول وذلك مخالف للمعقول)) (٢٣٤) .

ولا يعنينا الآن بيان موقفه من القياس عمومًا ؛ فاعتداده به اعتداد عظيم ، وهو أمر ثابت من خلال ما قلناه هاهنا ، ومن خلال ما كتبه في الأصول ،ككتاب لُمَع الأدلة ، والفصول في معرفة الأصول،والإنصاف الذي تعجّ مسائله الخلافية بكلام كثير عن أقيسته النحوية ، وغير ذلك من كتبه. *والذي يعنينا هو بيان موقفه منه في هذا المؤلف ومنهجه فيه ، وكيف كانت مجاري القياس عنده ؟ وما مدى تأثره بالمنهج البصري في أقيسته ؟.*

عني الرجل بهذا الأصل عناية عظيمة في كتابه البيان الذي يعدّ آخر ما صُنّف وقد أودع فيه خلاصة علمه وعصارة فكره وذهنه ، ولهذه العناية مظاهر عِدّة ، منها : أنه كان دائم الإشارة إلى ما خرج على القياس ويبين وجه مخالفته القياس ، خُذْ مثالاً على ذلك قوله في ((الوِجْهَة)) في قوله تعالى: (وَ لِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها)(٢٣٥) : ((الوِجْهَةُ جاءت على خلاف القياس ، لأن القياس أن يقال ((جِهَة)) ، كما يقال في ((وعد)) : ((عدة)) ، وفي ((وصل)) : ((صلة))– بحذف الواو– إلا أنهم استعملوها استعمال الأسماء على خلاف القياس . ويجوز أن تكون الوِجْهَة اسمًا للمتوجّه إليه ، فلا يكون شاذًّا على خلاف القياس .والذي أضيف إليه ((كل)) بمنزلة الملفوظ به ، ولهذا لم يُجِزْ جماعة من النحويين دخول الألف واللام عليه ؛ لأن الألف واللام والإضافة لا يجتمعان)) (٢٣٦) .

أما عن مجاري القياس عنده فهي متنوعة ، وذلك على النحو التالي :

ـ نراه يقوي قراءة على أخرى تبعا لقولها في القياس ؛ ففي توجيه ((المتين)) في قوله تعالى : (ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)(٢٣٧) يقول:((يقرأ : (المتين) بالرفع والجر؛ فالرفع على أنه صفة لـ((ذو))،والجر على أنه صفة للقوة ، وذكر لأنه تأنيث غير حقيقي.والرفع أشهر في القراءة وأقوى في القياس))(٢٣٨)

ـــ وكما يقوي قراءة على أخرى تَبَعًا لقوّتها في القياس نراه يُضَعِّفُ أخرى معتمدًا على القياس؛ يقول ((وقراءة من قرأ بكسر الدال من ((الحمد)) إتباعًا لكسرة اللام من ((الله)) ؛ كقولهم في ((مُنْتِن)) : ((مِنْتِن)) ؛ فكسرت الميم إتباعًا لكسرة التاء . وقراءة من قرأ بضم اللام إتباعًا لضمة الدال، كقولهم ((مُنْتُن))- بضم التاء -إتباعًا لضم الميم فقـــراءتان ضعيفتان في القياس قليلتان في الاستعمال ؛ لأن الإتباع إنما جاء في ألفاظ يسيرة لا يعتدُّ بها ، فلا يقاس عليها)) (٢٣٩) .

ويقول في موضع آخر وهو يوجه ((حُسْنًا)) في قول الحق تبارك وتعالى :(وقُولوا للناسِ حُسْنًا)(٢٤٠) ((ومن قرأ : (حُسْنى) -بألف مماله -كان مشتقًّا من الحسن ، مؤنّثًا بألف التأنيث.وهذه القراءة ضعيفة في القياس ؛ لأن باب ((فُعْلَى)) و((أفْعَل)) لا يستعمل إلا مضافًا أو معرَّفًا بالألف واللام . و لم يوجد واحد منهما)) (٢٤١).

ـــ يرجّحُ مذهبًا على آخر معتمدًا على القياس ؛فمثلا توجيه ((ولاتَ)) في قوله تعالى : ((ولاتَ حينَ مَنَاصٍ) (٢٤٢) : ((والتاء في ((لاتَ))لتأنيث الكلمة ، وهي عند البصريين بمنزلة التاء في الفعل، نحو : ضَرَبَتْ وذَهَبَتْ. والوقف عليها بالتاء ، وعليه خطّ المصحف ، وهي عند الكوفيين بمنزلة التاء في الاسم نحو ضاربة وذاهبة . والوقف عليها عندهـــم بالهاء ؛ وروي ذلك عن الكسائي . والأقيس مذهب البصريين ، لأن الحرف إلى الفعل أقرب منه إلى الاسم . وذهب أبو عبيد القاسم بن سلام إلى أن التاء تتعلق بـــ ((حين)). والأكثرون على خلافه)) (٢٤٣).

ـــ ونراه يضعّف وجهًا من الأوجه التي يعدّدها تَبَعًا لضعفه في القياس ؛ يقول في توجيه ((يجعله)) في قوله تعالى : (ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا) (٢٤٤) يقـــول : ((يجعلُه -بالرفع- و قرئ بالنصب ، وهي قراءة ضعيفة . ومنهم من قال نصبه تَبَعًا لما قبله ، ففتح اللام لأن العين قبله مفتوحة وليس بقوي ، وليس في توجيهها قول مرض جار على القياس)) (٢٤٥) .

ويرى أن إتباع حركة الحرف الذي قبل حرف العلـــة المحذوف للجزم ضعيف في القياس؛ مثل قراءة : (لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ) (٢٤٦).

خلاصة القول في منهجه في القياس :

قلنا إن الرجل اعتدّ بالقياس اعتدادًا عظيمًا ، وكان له فيه منهج هو في مجمله منهج البصريين ؛ إذ إنه لا يجيز القياس إلا على الأعمّ الأغلب ، وله في القياس أصول عامة يراعيها ؛ فهو حين يفاضل بين لغتين يختار أشيعهما وأقربهما إلى القياس ، وحين يفاضل بين مذهبين يختار الأقرب والأقوى في القياس ويضعف الأضعف في القياس . وفيما أتينا به دليل على ما أضربنا عنه ،ولله الحمد والمنة.

المبحث السابع : موقفه من العلة والتعليل :

ومِمَّا يُشارُ إليه هاهنا أنّ النحاة قد اهتمّوا بالعلّة اهتمامًا كبيرًا ، فبحثوا وأوجدوا لكلّ ظاهرة يروْنها أو يتحدثون عنها علّة ،وكانت عللهم أقرب إلى علل المتكلّمين منها إلى علل الفقهاء ، وكانت عللهم صنفين ؛ الأول : علّه تَطّرِدُ على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم . والآخر : علّة تُظْهِرُ حكمتهم وتكشف عن صحَّة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم . والنوع الأول أكثر استعمالاً وأشدّ تداولاً ، وهي كثيرة ذكر السيوطيّ أربعًا وعشرين منها (٢٤٧).

ونظراً لاهتمامهم بالعلّة والتعليل صُنِّفَتْ كتبٌ كثيرة تحمل عنوان العلّة ؛ نذكر منها : العلل في النحو لقُطْرُب (ت :٢٠٦هـ) ، وعلل النحو لابن كَيْسان (ت :٣٢٠ هـ) ، والإيضاح في علل النحو للزجاجيّ (ت٣٣٧ هـ) وغير ذلك (٢٤٨) .

ولا يقلُّ اهتمام أبي البركات بالعلّة عن اهتمام النحويين المتقدِّمين ؛ فنراه يتحدّث عنها كثيرًا في كتابه ((لُمَع الأدلّة)) ؛حيث تحدث عنها باعتبارها ركنًا من أركان القياس، وذلك في الفصل العاشر منه (٢٤٩)، وتحدث عنها باعتبارها قسمًا من أقسام القياس الثلاثة في الفصل الرابع عشر الذي جعله خاصًا بقياس العلّة (٢٥٠) ، وعقد الفصل التاسع عشر لتعليل الحكم بعلتين فصاعداً (٢٥١) . وتحدث عنها في مواضع أخرى من الكتاب .

وفي كتابه موضوع الدراسة نجد اهتمامه بالعلة والتعليل واضحًا ، ونراه يعلّل لكلّ ظاهرة يتعرض لها ، وهاك مثالاً يؤيّد ذلك:يقول في إعراب قوله تعالى:(خَتَمَ اللهُ على قلوبِهم وعلى سَمْعِهِم وعلى أبصارِهم غِشاوةٌ) (٢٥٢) : ((إنما وحّد ((سمعهم)) ولم يجمعه كقلوبهم وأبصارهم لثلاثة أوجُه : الأول : أنّ السمع مصدرٌ ، والمصدر اسم جنس يقع على القليل والكثير ولا يفتقر إلى التثنية والجمع . والثاني أن يقدر مضاف على لفظ الجمع ،والتقدير : على مواضع سمعهم ؛ فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. والثالث أن يكون اكتفى باللفظ المفرد لما أضافه الجمع ، لأنّ إضافته إلى الجمع يعلم بها أن المراد به الجمع . وهو كثير في كلامهم وأشعارهم ، قال الشاعر :

..... في حَلقِكُم عظمٌ وقد شُجِينا

أي : في حلوقكم . وقال الأخر :

كُلوا في بعض بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا .....

أي : في بعض بطونكم . وضعّف سيبويه هـــذا الوجه وزعم أن هـــذا إنما يجيء كثيرًا في الشعـــر وليس كذلك ؛ لمجيئه كثيرا في كتاب الله تعالى : (لَا يَرْتَدُّ إِلَيهِم طَرْفُهُمْ)(٢٥٣) ، وقـــال تعالى : (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ)(٢٥٤) ،وقال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِـــمْ آيَـــةٌ)(٢٥٥))) (٢٥٦)

وخذ مثالاً آخر لتعليلاته يبرز فيه بعض أنواع العلة ؛ نراه يعلل بناء ((إذا)) بثلاثة أوجه ذكرها في قوله : ((الأول أنها تضمّنت معنى الحرف ، لأن كل ظرف لابدّ فيه من تقدير حرف وهو ((في)) ألا ترى أنك إذا قلت: ((صُمْتُ يومًا)) ، ((قُمْتُ ليلةً)) أي : صُمْتُ في يومٍ ، وقمتُ في ليلةٍ ، فلما لم يَجُزْ هاهنا فيه تقدير ((في)) فكأنه قد تضمن معنى الحرف ، والاسم إذا تضمن معنى الحرف وجب أن يكون مبنيا. والثاني : أنه لا يفيد مع كلمة واحدة كما أن الحرف لا يفيد مع كلمـــة واحدة ، والحرف مبني ، فكذا ما أشبهه. والثالث : أنه تضمّن معنى حرف الشرط ، والاسم متى تضمّن معنى الحرف وجب أن يكون مَبْنِيًّا)) (٢٥٧) .

وعِلَلُ الرجلِ من النوع الأول ، تلك التي تَطّرِدُ في كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم ، وهي أكثر استعمالاً وأشدُّ تداولاً من علل النوع الثاني ، وهي واسعة الشعب إلا أنّ مدار المشهور منها ما ذكره صاحبنا ونقله السيوطيّ فيما بعدُ ؛ ومن هذه العلل : علّة سماع (٢٥٨) وعلّة تخفيف (٢٥٩) وعلّة تغليب (٢٦٠) وعلّة حمل على المعنى (٢٦١) وعلّة حمل على اللفظ (٢٦٢) و علّة حمـــل على الموضع (٢٦٣) و علّة حمل على النظير (٢٦٤) وعلّة عدم السماع (٢٦٥)وعلّة فرق (٢٦٦) وعـــلّة عدم النظير (٢٦٧) وعلّة حمل على النقيض (٢٦٨) وعلّة تشبيه(٢٦٩) وعلّة كثرة استعمال (٢٧٠) وغير ذلك من العلل التي ذكرها في البيـــان.

وقـــد أخذ السيوطيّ (ت :٩١١ هـــ) علل أبي البركات ، كما ذكرنا ، وذكـــر منها أربعًا وعشرين علّة في كتابه الاقتراح (٢٧١) .

ومّما يلاحظ على منهج الرجل في العلة أنه كان يفاضل بين العلل إذا تعدّدت في المسألة الواحدة ويختار الراجح منها ، وإليك مثالاً يوضّح هذه السمة المنهجية ، يقول: ((في حذف النون من ((يَكُ)) وجهان؛ أحدهما : أنها حذفت لكثرة الاستعمال ، وإليه ذهب أكثر النحويين ، والثاني : أن تكـــون

حذفت تشبيها لها بنون الإعراب في نحو : يَضْرِبُونَ. وهـــو قول أبي العباس المبرّد . والوجه الأول أوجه الوجهين (٢٧٢) . **********

وأخيرًا- وقبل أن أختم بحثي هذا - أود أن أشير إلى أن صاحبنا أبا البركات بصري المذهب في النحو ؛ وذلك لأنه نَهَجَ نَهْجَ البصريـين وسار على دربهم واستشهد بشواهدهـم واستدلّ بأدلتهم وهـذا واضح في جميع مصنفاته ، ومن أبرزها ((البيان)) ؛ يقول محقّـق الكتاب : ((المطّلع على كتب ابن الأنباريّ في النحو ، لا يدخله شكّ في انتماء الرجل إلى المذهب البصريّ ، ولسنا في مجال مناقشة السبب في ذلك ، لأن ابن الأنباريّ حين يتكلّـم عن أستاذه الشريف بن الشجري يسلسل أساتذته السابقين ، وكل منهم بصري معروف ، فيقول : وكان الشريف بن الشجري أنحى من رأينا من علماء العربيـة ، وآخر من شاهدنا من حذّاقهم وأكابرهم وتوفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وعنه أخذت علم العربية ، وأخبرني أنه أخذه عن ابن طباطبا ، وأخذه ابـن طباطبا عن ابن عيسى الرَّبْعِيّ عن أبي على الفارسيّ ، وأخذه أبو علي عن أبي بكر بن السرّاج ، وأخذه ابن السرّاج عن أبي العباس المبرد ، وأخذه المبرد عن أبي عثمان المازني وأبي عمر الجَرْمِيّ ، وأخذه عن أبي الحسن الأخفش وأخذ الأخفش عن سيبويه ، وأخذه سيبويه عن الخليل بن أحمد ، وأخذه الخليل عن عيسى بن عمر وأخذه عيسى بن عمر عن بن أبي إسحاق ، وأخـذه ابن أبي إسحاق عن ميمون الأقرن عن عنبسة الفيل ، وأخذه عنبسة الفيل عن أبي الأسود ، وأخذه أبو الأسود الدؤلي عن أمـير المؤمنين عليه السلام)) (٢٧٣) .

****

تم البحث بحمـد الله وتوفيقه

****

الحواشي

١-ينظر : إنباه الرواة ١٧١/٢ ، ومرآة الجنان ٤٠٨/٣ .

٢-ينظر : دائرة معارف البستاني ٢/ ٣٥١ .

٣-وهذا ما أجمعت عليه مصادر ترجمته ، إلا أن اليافعيّ أشار إلى أن ولادته كانت ببغداد (ينظر :مرآة الجنان ٤٠٨/٣).

٤-ينظر معجم البلدان ٣٦٧/١ ، ووفيات الأعيان ١٤٠/٣ .

٥-وقيل الثامن عشر. ينظر :طبقات ابن قاضي شهبه ٣٦٥ .

٦-ينظر :إنباه الرواة ١٧١/٢ ،وفيات الأعيان ١٣٩/٣ .

٧-ينظر :إنباة الرواة ١٦٩/٢ ، وفيات الأعيان ١٣٩/٣ ، وبغية الوعاة ٨٦/٢ .

٨-ينظر : المصادر السابقة .

٩-ينظر : العِبَر في خَبَر مَنْ غَبَر ٢٣١/٤ ، وشذرات الذهب ٤/ ٢٥٨-٢٥٩ . وينظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ٣١٠/١١ ، طبقات الشافعية الكبرى ٢٨٤/٤ ، إنباة الرواة ١٦٩/٢ وفَيات الأعيان ١٣٩/٣ ، فوات الوفيات ٢٩٢/٢-٢٩٣ ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ص١٣٣ ، بغية الوعاة ٨٦/٢-٨٨ ، دائرة معارف البستاني ٤/٢ ، أبو البركات الأنبارى ودراسته النحوية ١٩-٥٩ ، ابن الأنباري وجهوده النحوية ٦٤-١٣٨ .

١٠-وهي إحدى محافظات الجمهورية العراقية حالياً وقد زرتها عام ١٩٨٢م.

١١-ينظر في ذلك بحث بعنوان : الأنباري من خلال كتابه الإنصاف ، للدكتور فوزي فيض الله ، مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الرياض ، العدد الرابع سنة ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م ، من ص :١٣٥-٢٤٢ وينظر : كذلك حاشية رقم (٩) في ص٦٥ في :,, ابن الأنباري وجهوده في النحو،، للدكتور جميل علوش.

١٢-الفاتحة : من الآية (٤).

١٣-البيان : ٣٦/١-٣٧ .

١٤-ينظر مقدّمة محقّق الكتاب : ٢٠/١ .

١٥-البيان : ٢٩/١ .

١٦-ينظر : المصدر السابق ٣٤٤/٢ .

١٧-ينظر : السابق ٤٠٣/٢ .

١٨-ينظر : السابق ٢/٤٥٣ .

١٩-ينظر : السابق ٢/ ٤٩٦ .

٢٠-ينظر : السابق ٢/٥٠٣ .

٢١-ينظر : السابق ٢/٤٩٨ .

٢٢-ينظر : السابق ٢/٥٠٨ .

٢٣-ينظر : السابق ٢/٥٢٥ .

٢٤-ينظر : السابق ٢/٥٣٨ .

٢٥-ينظر : السابق ٢/٥٤٣ .

٢٦-ينظر : السابق ٢/٥٤٤ .

٢٧-ينظر : السابق ٢/٥٤٥ .

٢٨-ينظر : السابق ٢/٥٢٢ .

٢٩-ينظر : السابق ٢/٨٦ .

٣٠-ينظر : السابق ٢/٣٢٨ .

٣١-ينظر : السابق ٢/٣٣٦ .

٣٢-البقرة : من الآية (٢٢٢).

٣٣-البيان : ١/١٥٤-١٥٥ .

٣٤-السابق : ١/١٦٧ ؛ في إعراب قوله تعالى : (يستفتونك في النساء قل الله يُفتيكم فيهنّ وما يُتلى عليكم) النساء : من الآية (١٢٧).

٣٥-البقرة : من الآية (٢١٧).

٣٦-البيان : ١/١٥١-١٥٢ .

٣٧-البقرة : من الآية (٧).

٣٨-إبراهيم : من الآية (٤٣).

٣٩-الأعراف : من الآية (١٥١).

٤٠-سبأ : من الآية (١٥).

٤١-البيان : ١/٥٢-٥٣ .

٤٢-ينظر : المصدر السابق١/٤٧ .

٤٣-ينظر : السابق.

obeikandi.com

٤٤-ينظر : السابق ١/٤٧، ١٠٤ ، ١٣٥، ١٦٣ .

٤٥-ينظر : السابق١/١٥٦، ٢/٢٧٩ .

٤٦-ينظر : السابق٢/٦٦ . وهو رأي البصريين ، ينظر : المسألة ٦٦ في الإنصاف٢/٢٧٩ .

٤٧-ينظر : السابق٢/١٤٧ .

٤٨-ينظر : السابق١/١٩٠ .

٤٩-ينظر : السابق ١/١٤٤، ٢٥٣ و٢/٣٢٨ .

٥٠-ينظر : السابق١/٢٦٨ .

٥١-ينظر : السابق٢/١٢ .

٥٢-ينظر : السابق ٢/٣٣، ٣٤ .

٥٣-ينظر : السابق ٢/٣٠٠ .

٥٤-ينظر : السابق ٢/٣٦٠ .

٥٥-قلنا ((أشهر)) و لم نقل ((أول)) لأن ثمة كتبًا صُنّفَتْ في الخلاف بين المدرستين قبل الإنصاف ، منها : اختلاف النحويين لثعلب المتوفى ٢٩٢هـ ، والمسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون لابن كَيْسَان المتوفى ٣٣٠ هـ ، والمقنع في اختلاف البصريين والكوفيين للنحّاس المتوفى ٣٣٨ هـ ، والرد على ثعلب في اختلاف النحويين لابن درستويه المتوفى ٣٤٧ هـ وكتاب الاختلاف لعبد الله الأزدي المتوفى ٣٤٨ هـ ، والخلاف بين النحويين للرمّاني المتوفّى ٣٨٦ هـ ، والخلاف بين سيبويه والمبرد له أيضًا ، وكفاية المتعلمين في اختلاف النحويين لابن فارس المتوفى ٣٩٥هـ . وأيضا صنفت كتب في الخلاف بعده ، منها : مسائل الخلاف في النحو لابن العربي الغرناطيّ المتوفّى ٥٩٧هـ ، والتبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين للعكبري المتوفى ٦١٦هـ ، والإسعاف في مسائل الخلاف لابن إياز المتوفى ٦٨١هـ ، وائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة لأبي بكر الشرجي الزبيديّ المتوفّى ٨٠٢هـ .

٥٦-البيان : ١/١٢٣ .

٥٧-السابق : ١/٣٧٧ - ٣٧٨ .

٥٨-السابق : ١/٥٩ .

٥٩-السابق : ١/١٢٣ .

٦٠-السابق : ٢/٣٤ .

٦١-البقرة : من الآية (٤٨).

٦٢-غافر : من الآية (٤٨). والنصّ من البيان١/٨٠ .

٦٣-القمر : (٤٩).

٦٤-البيان : ٢/٤٠٦ -٤٠٧ .

٦٥-السابق : ١/٦٧ -٦٨ .

٦٦-هو/ د. جميل علوش . ينظر : ابن الأنباري وجهوده في النحو ، ص ٢٥٦ .

٦٧-البيان : ١/٣٢ . وينظر مسائل خلافية أخرى في الكتاب : ١/ ٣١ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٠ -٦١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٧ ، ٢٤٩ ، ٤٠٩ ، و٢/١١ ، ٣٨ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ١٠١ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ٢٣٧ ، ٤٧٢ ، وغير ذلك .

٦٨-ابن الأنباري وجهوده في النحو ص٢٥٧ .

٦٩-البيان : ١/٥٣-٥٤ .

٧٠-المصدر السابق : ١/٧٨ .

٧١-السابق :١/٣٤٨ .

٧٢-السابق :٢/١١٥ .

٧٣-الفاتحة :من الآية (٧) . وينظر : البيان ١/٤١ .

٧٤-البقرة :من الآية (٧٥). وينظر : البيان ١/٧٩ .

٧٥-البقرة :من الآية (١٣٥). وينظر: البيان ١/١٢٤ .

٧٦-الأنعام : من الآية (٩٤) . وينظر : البيان ١/٣٣٢ .

٧٧-طه :من الآية (١٢٨) . وينظر: البيان ٢/١٤٥ .

٧٨-طه :من الآية (١٣١) . وينظر: البيان ٢/١٥٥ .

٧٩-الأعراف :من الآية (٤٤) . ينظر: البيان ١/٣٦٢ . ومما تجدر الإشارة إليه هاهنا أن هذه المسائل وهي التي ذكرتها هاهنا قد ذكرها قبلي د/ جميل علوش في كتابه : ابن الأنباري وجهوده في النحو ، فله فضل السبق .

٨٠-ينظر :الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه د. مهدي المخزومي ص٢٣٩ .

٨١-برزت فكرة العامل في كتاب سيبويه بصورة واضحة ،وكثير من عنوانات موضوعات الكتاب تدل على ذلك ، ومما يدلك على ذلك هذه العنوانات : باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليس بمفعول :١/٤٤ .وباب ما يعمل عمل الفعل و لم يجر مجري الفعل و لم يتمكن

تمكنه ١/٧٢ ٠باب ما يختار فيه إعمال الفعل مما يكون في المبتدأ مبنيا على الفعل /١/٨٨ ٠وباب ما لا يعمل فيه ما قبله من الفعل الذي يتعدى إلى المفعول ولا غيره /١/٢٣٥ وغير ذلك ٠

٨٢-ينظر : العامل النحوي ص٦٥ ، وما بعدها ٠

٨٣-ينظر :الخصائص ١/١٠٩-١١٠ ، وينظر كذلك : شرح الكافية للرضي ١/١٢٥ ٠

٨٤-ينظر :شرح المفصل ١/٧١ ، وينظر كذلك :دراسات في الإعراب ص٦٢ ٠

٨٥-ينظر -على سبيل المثال - الصفحات : ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٦ من الكتاب الثاني:((في النحو العربي - نقد وتوجيه))٠

٨٦-ينظر :الإيضاح في علل النحو ، للزجاجي ص٧٠ ٠

٨٧-ينظر :اللغة العربية- معناها ومبناها الصفحات: ١٨٩،١٩٤-١٩٩،واللغة بين المعيارية والوصفية ص٥١ ٠وينظر كذلك العامل النحوي ٨٤-٨٥ ٠

٨٨-ارجع في نظرية النظم إلى كتاب :دلائل الأعجاز ٠

٨٩-أسرار العربية : ص ١٩ ٠

٩٠-البقرة : من الآية : (٣٠) ٠

٩١-ينظر : البيان ١/٧٠ ٠

٩٢-البقرة : من الآية ( )٠

٩٣-ينظر :البيان ١/١٠٦ ٠

٩٤-الفرقان : (٢٢)٠وينظر: البيان ٢/٢٠٣ ٠

٩٥-البقرة : من الآية (٧٩)٠

٩٦-ينظر : البيان١/٩٩ ٠

٩٧-البقرة : من الآية (٢)٠ وينظر : البيان١/٤٦ ٠

٩٨-البقرة : من الآية (٢٦) ٠

٩٩-ينظر : البيان ١/٦٧ ٠

١٠٠-البقرة : من الآية (٩١) ٠ والنص في البيان ١/١٠٩ ٠

١٠١-البقرة : من الآية (٢٨) ٠

١٠٢-البيان : ١/٦٧ ٠

١٠٣-آل عمران : من الآية (٢٥) ٠

١٠٤-البيان :١/١٩٧ ٠

١٠٥-المائدة :من الآية (٢) ٠

١٠٦-البيان :٢٨٣/١ وينظر كذلك ٢٥٧/٢، ٣٩٠ ٠

١٠٧-قالها البيان :٢٣٩/٢ ٠

١٠٨-العنكبوت : من الآية (١٦) ٠

١٠٩-ينظر :البيان ٢٤٢/٢ ٠

١١٠-العنكبوت : من الآية (٢٨) ٠

١١١-ينظر : البيان ٢٤٤/٢ ٠

١١٢-الزمر :من الآية (٦٤) ٠

١١٣-البيان :٣٢٥/٢ ٠

١١٤-الكهف : من الآية (١٢) ٠

١١٥-البيان :١٠١/٢ ٠

١١٦-ينظر : المصدر السابق ٤٥٣/٢ ٠

١١٧-ينظر : المصدر السابق ٠

١١٨-ينظر : المصدر السابق ٣٦٤/٢ ٠

١١٩-أل عمران : من الآية (١٤٦) ٠

١٢٠-١البيان :٢٢٥/١ ٠

١٢١-البقرة : من الآية (٣٠) ٠

١٢٢-البيان : ٦٩/١-٧٠ ٠

١٢٣-ينظر : السابق ٣٢٩/٢ ٠

١٢٤-ينظر : منهج الأخفش الأوسط في الدرس النحوي ص٢٠٣ ٠

١٢٥-ينظر : الأنصاف م ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٩٧، ٨٢، ٨٣ وغيرها ٠

١٢٦-ينظر :المصدر السابق المسائل المذكورة وينظر البيان ١٣٤/١ ٠

١٢٧-لمع الأدلة ص ٨١-٨٢ ٠ وذكر أمثلة لما شذ من كلامهم ٠

١٢٨-الاقتراح ص ٤٨ ٠

١٢٩-لمع الأدلة ص٨٣ ٠

obeikandl.com

١٣٠-في قولة تعالى : (اسْتَحْوَذَ عليهم الشيطانُ) ، وقولة تعالى-حكايةعنْ المنافقين يخاطبون به الكفار : (أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عليكم وَنَمْنَعْكُم من المؤمنينَ) ، واسْتَحْوَذَ : خرج على أصله -لمن قال حاذ يحوذ لم يقل إلا استحاذ ، ومن قال:أحوذ فأخرجه على الأصل قال استحوذ .وينظر اللسان٣/٣٨٢

١٣١-هود : من الآية (٥٤) .

١٣٢-الصافات: من الآية (٥٨، ٥٩).

١٣٣-يونس : من الآية (٤٥) .

١٣٤-أل عمران : من الآية (١١٢) .

١٣٥-البيان : ٢/١٨-١٩ .

١٣٦-المطففين : الآيات (١٨،١٩،٢٠) .

١٣٧-المطففين : من الآية (٧) .

١٣٨-المطففين : من الآية (١٩،٢٠) .

١٣٩- البيان : ٢/٥٠١ .

١٤٠-البيان : ١/٨٨ .

١٤١-السابق : ١/٣٩ .

١٤٢-السابق : ١/٣٨ .

١٤٣-الكهف : من الآية (١٧) .

١٤٤-الفاتحة : (٧) . والمتن في البيان : ١/٤١ .

١٤٥-السابق : ١/٤٢ .

١٤٦-السابق .

١٤٧-البقرة : من الآية (٢٨) .

١٤٨-البيان : ١/٦٧ .

١٤٩-السابق : ١/٨٤ .

١٥٠-ينظر : السابق ١/٣٧ .

١٥١-إبراهيم : من الآية (٢٢) .

١٥٢-وهو محمد ابن المستنير المعروف بِقُطْرُب المتوفّى سنه (٢٠٦ هـ) .

١٥٣-ينظر :السابق ١/٣٠٠-٣٠١، ٢/١٤٤ .

١٥٤-البيان :١/٣٠٢ .

obeikandl.com

١٥٥- يونس : من الآية (٩٨) .

١٥٦-ينظر : البيان ٤٢١/١ .

١٥٧- السابق : ١٨٥/١ .

١٥٨-البقرة : من الآية (٢٣٢) .

١٥٩-البقرة : من الآية (٢٣٢) .

١٦٠-البيان : ١٥٨/١ .

١٦١-السابق : ٣٦/١ .

١٦٢-السابق : ٤٩/١ .

١٦٣-المصدر السابق : ٦٧/١ .

١٦٤-البيان : ١٤/٢ .

١٦٥-السابق .

١٦٦-السابق : ١٤٥/٢ .

١٦٧-البيان : ٨٧/١ .

١٦٨-البيان : ٤٤/٢ .

١٦٩-ينظر: المصدر السابق .

١٧٠-البيان : ٧٤/٢ .

١٧١-السابق : ٢/ ١٦٨ . وثمة موضع أخري يكتفي منها بالشاهد الشعري على إثبات القاعدة النحوية ينظر مثلاً : ١٣٢/١ ، ٢١٨ ، ٢٥٠ .

١٧٢-البقرة : من الآية (٢٥٤) .

١٧٣-البيان : ١٦٨/١ .

١٧٤-البقرة :من الآية (٨٣) .

١٧٥-البيان : ١٠٣/١ .

١٧٦-الفاتحة : (٤) .

١٧٧-الفاتحة : (١) .

١٧٨-البيان : ٣٥/١-٣٦ .

١٧٩-ينظر : البيان ١٩٢/١ .

١٨٠-ينظر : المصدر السابق ٢٠٦/١ .

obeikandl.com

١٨١-ينظر : السابق ١/ ١٩٣ .

١٨٢-ينظر : السابق ٢/١٦٤ .

١٨٣-ينظر : السابق ٢/٢٥ .

١٨٤-ينظر : السابق ١/٢٠٨ .

١٨٥-ينظر : السابق ١/٣٤٣ .

١٨٦-ينظر : السابق ١/٣٤٨ .

١٨٧-ينظر: السابق ٢/٢٥ .

١٨٨-ينظر: السابق ٢/٣٠ .

١٨٩-ينظر : السابق ٢/٣٠ .

١٩٠-ينظر : السابق ٢/٣٠ .

١٩١-ينظر : السابق ٢/١٦٦ .

١٩٢-السابق : ١/١٢٤ .

١٩٣-البقرة : من الآية (١٣٢) .

١٩٤-النمل : من الآية (٤٩) .

١٩٥-البيان : ٢/٢٢٤ .

١٩٦-الشورى : من الآية (٣) .

١٩٧-النور : من الآية (٣٦-٣٧) .

١٩٨-البيان : ٢/٣٤٤ .

١٩٩-البقرة : من الآية (١٠٦) .

٢٠٠-البيان : ١/ ١١٧ .

٢٠١-البقرة : من الآية (١٦١) .

٢٠٢-البيان : ١/١٣٠-١٣١ .

٢٠٣-البقرة : من الآية (٢٥٤) .

٢٠٤-البيان : ١/١٦٨ .

٢٠٥-الكهف : من الآية (١٧) .

٢٠٦-الفاتحة : (٧) .

٢٠٧-البيان : ١/٤١ .

obeikandl.com

٢٠٨-الأعراف : من الآية (٢٠٥) .

٢٠٩-البيان : ٣٨٢/١ .

٢١٠-يس : من الآية (٥) .

٢١١-البيان : ٢/ ٢٩٠ .

٢١٢-النجم : من الآية (٥٠) .

٢١٣-البيان : ٤٠١/٢ .

٢١٤-المنافقون :من الآية (٨) .

٢١٥-البيان : ٤٤١/٢

٢١٦-غافر : من الآية (٧١) .

٢١٧-البيان : ٣٣٤/٢ .

٢١٨-الأنعام : من الآية (١٣٧) .

٢١٩-البيان : ٣٤٢/١-٣٤٣ .

٢٢٠-الأعراف : من الآية (١٠) .

٢٢١-البيان : ٣٥٥/١ .

٢٢٢-سيبوية والقراءات : ص٨٧ .

٢٢٣-معاني القرآن للاخفش ص٢٩٣ .

٢٢٤-سيبوية والقراءات ص٨٩ .

٢٢٥-السابق .

٢٢٦-ينظر إنباه الرواه : ٢٦٧/٢ .

٢٢٧-ينظر في أصول النحو سعيد الأفغاني ص٧٨ .

٢٢٨-ينظر الاقتراح ص٤٧ .

٢٢٩-ينظر في أصول النحو ص٨٣ .

٢٣٠-قال ذلك لتلميذه في حلب سنه (٣٤٦هـ) . كما جاء في الخصائص ٨٨/٢ .

٢٣١-ينظر : الخصائص ١٨٩/١ .

٢٣٢-ينظر مقدمة الاقتراح ،وفي أصول النحو ١٠١-١٠٢ .

٢٣٣-لمع الأدلة ص ٩٣ .

٢٣٤-السابق : ٩٥-١٠٠ .

obeikandi.com

٢٣٥-البقرة . من الآية (١٤٨) .

٢٣٦-البيان : ١٢٨/١ ، وإذا أردتَ الوقوف على مزيد من أدلة اعتداده فارجع إلى المواضع التالية في الكتاب : ٨٨/١، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ٢٧٢، ٣٥١، ٣٦٨، ٣٨٤،
٣٩٠، ٣٢/٢، ١٤٤/٣، ٢٦، ٢٤٧، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٥٠، ٣٨٧، ٤٢٠ .

٢٣٧-الذاريات : من الآية (١٤٨) .

٢٣٨-البيان : ٣٩٣/٢ .

٢٣٩-السابق : ٣٤/١-٣٥ .

٢٤٠-البقرة : من الآية (٨٣) .

٢٤١-البيان : ١٠٣/١ . وينظر ما قاله في قراءة ابن عامر لقوله تعالى : (وكذلك زُيِّنَ لكثيرٍ من المشركين قَتْلُ أولادَهم شركائهم)في ٣٤٢/١-٣٤٣ .

٢٤٢-ص : من الآية (٣) .

٢٤٣-البيان : ٣١٢/٢ وينظر ما قاله في ((خطايا))في البقرة (٥٨) في البيان ٨٤/١-٨٥ .

٢٤٤-الزمر : من الآية (٢١) .

٢٤٥-البيان : ٣٢٣/٢ .

٢٤٦- طه : من الآية (٧٧) . ينظر البيان ٤٢/١ .

٢٤٧-ينظر : الأقتراح ص٥٦ ، وينظر كذلك في أصول النحو ص١١٣ .

٢٤٨-ينظر : في أصول النحو ص١١٧ .

٢٤٩-المصدر السابق : ص٩٣ .

٢٥٠-ينظر المصدر السابق ص١٠٥، ونصَّ على أن قياس العلة معمول به بالإجماع عند العلماء كافة

٢٥١-ينظر: المصدر السابق ص١١٧ .

٢٥٢-البقرة : (٧) .

٢٥٣-إبراهيم : من الآية (٤٣) .

٢٥٤-الأعراف : من الآية (١٥٧).

٢٥٥-سبأ : من الآية (١٥).

٢٥٦-البيان :

٢٥٧-السابق : ٥٦/١ . وينظر ما قاله في تعليل بناء ((الآ

٢٥٨-ينظر : السابق١/٥٢ ، ٣٣٧ ، و١٦٦/٢ .

obeikandl.com

٢٥٩-ينظر : السابق١/٥٨ ، ١٢٧ ، ٤١١ ، و٢/٥١ ، ٣٤٢ .

٢٦٠-ينظر : السابق ١/١٥٧ .

٢٦١-ينظر : السابق١/٢٠٢ ،٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٣١٧ ، ٣٨٦ ، ٤١٣ . و٢/٢٠ ، ١٨٨ ،٢٥١ .

٢٦٢-ينظر : السابق١/١٤٦ ، ٣١٧ ،٤١٣ . و٢/٥٣ .

٢٦٣-ينظر : السابق ٢/٥٣ .

٢٦٤-ينظر : السابق ٢/١٠٢ ، ١٣١ .

٢٦٥-ينظر : السابق ٢/٢٢٢ .

٢٦٦- ينظر : السابق ٢/٢٣٢ .

٢٦٧-ينظر : السابق ٢/١٢٢ .

٢٦٨-ينظر : السابق ٢/١٣١ .

٢٦٩-ينظر : السابق ٢/٣٣٠ ، ١/٣٥٩ .

٢٧٠-ينظر : السابق ٢/٣٣٠ .

٢٧١-ص٥٦٠ .

٢٧٢-البيان : ٢/٣٣٠ .

٢٧٣-مقدمة تحقيق البيان :١/٩ ، نقلاً عن نزهة الألباء.

****

صدر كتاب البيان عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م ، في مجلدين ، تحقيق د. طه عبد الحميد طه ومراجعة مصطفى السقا ، وقع المجلد الأول في (٤٢١)ص والثاني في (٥٧٦)ص.

****

obeikandl.com

المصادر والمراجع

-الأخفش ، أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت : ٢١٥هـ) :

معاني القرآن : تحقيق د. فائز فارس ، الكويت ١٤٠١هـ.

-الأزهري ، الشيخ خالد بن عبد الله الجرجاوي (ت : ٩٠٥هـ) :

شرح العوامل المائة النحوية في أصول علم العربية لعبد القاهر الجرجاني (ت:٤٧١ هـ)

تحقيق د. البدراوي زهران ، دار المعارف ، مصر ، ط.أولى د.ت .

-الأفغاني ، سعيد :

في أصول النحو : مطبعة جامعة دمشق ، ط.ثالثة ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م.

-أمين الورد ، عبد الأمير بن محمد :

منهج الأخفش الأوسط في الدراسة النحوية : منشورات مؤسسة الأعلمي ببيروت ومكتبة دار التربية ببغداد، ط. أولى ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

-الأنباري ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت : ٥٧٧هـ) :

- أسرار العربية : تحقيق محمد بهجة البيطار ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م .

-الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت د.ت .

-لمع الأدلة- في أصول النحو : تحقيق سعيد الأفغاني ، مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٧هـ-١٩٥٧م .

-منثور الفوائد : تحقيق د.حاتم الضامن ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط.أولى ١٤١٠هـ-١٩٩٠م

-الأنصاري ، أحمد مكي (دكتور) :

-سيبويه والقراءات -دراسة تحليلة معيارية :دار المعارف ، مصر ، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م

-البستاني ، بطرس :

-دائرة معارف البستاني ، مطبعة المعارف ، بيروت ١٨٧٧م.

-ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت :٣٩٢هـ)

-الخصائص : تحقيق محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت د.ت .

obeikandl.com

-حسان ، تمام (دكتور) :

-اللغة بين المعيارية والوصفية : مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٨م .

-اللغة العربيـــــة معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م .

-ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت : ٦٨١هـــ) :

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت د.ت .

-الرضي ، محمد بن الحسن الاستراباذي (ت : ٦٨٦هـــ) :

-شرح الكافية دار الكتب العلمية بيروت لبنان د.ت .

-الزبيدي ، عبد اللطيف بن أبي بكر الشرجي (ت :٨٠٢هـــ) :

-ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة : تحقيق د.طارق الجنابي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ط.أولى ١٤٠٧هـــ-١٩٨٧م .

-الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن (ت :٣٤٠ هـــ) :

-الإيضاح في علل النحو : تحقيق د. مازن المبارك ، دار النفائس ، بيروت ، ط. خامسة ١٤٠٦ هـــ-١٩٨٦م .

-الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر (ت : ٥٣٨هـــ) :

-المفصل في علم العربية : دار الجيل ، بيروت ١٩٤٨هـــ .

-السامرائي ، فاضل صالح (دكتور) :

-أبو البركات بن الأنباري ودراساته النحوية : دار الرسالة ،بغداد ،ط. أولى ١٣٩٥هـــ-١٩٧٥م .

-السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين (٧٧١هـــ) :

-طبقات الشافعية الكبرى : المطبعة الحسينية بمصر ، ط. أولى د.ت .

-سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت : ١٨٠هـــ) :

-الكتاب : تحقيق عبد السلام محمد هارون ،دار الجيل ،بيروت ،ط. أولى د. ت .

-السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت :٩١١هـــ)

-الاقتراح في علم أصول النحو : تحقيق د. أحمد محمد قاسم (د. بيانات عن الطبع والنشر) .

-بغية الوعاة : دار الفكر ، ط.ثانية ١٣٩٩هـــ-١٩٧٩م .

-الشنتريني ، أبو بكر محمد بن عبد الملك (ت : ٥٤٩هـ) :

-تلقيح الألباب في عوامل الإعراب : تحقيق د٠معيض بن مساعد العوفي ، دار المدني ، جدة ، السعودية ، ط٠أولى ١٤١٠هـ-١٩٨٩م

-علوش ، جميل (دكتور) :

-ابن الأنباري وجهوده في النحو : الدار العربية للكتاب ، ليبيا ١٩٨١م ٠

-ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت : ١٠٨٩هـ)

-شذرات الذهب : دار المسيرة ، بيروت ، ط٠ثانية ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م ٠

-عمايرة ، خليل بن أحمد (دكتور) :

-العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه ودوره في التحليل اللغوي (يخلو من بيانات عن الطباعة والنشر)٠

-الفضلي ، عبد الهادي :

-دراسات في الإعراب : تهامة ، السعودية ، ١٩٨٤م ٠

-الفيروزآبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) :

-البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : تحقيق محمد المصري ، منشورات مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، ط٠أولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ٠

-فيض الله ، صوري (دكتور) :

-الأنباري من خلال كتابه الإنصاف . بحث نشر بمجلة كلية اللغة العربية-جامعة الرياض العدد الرابع ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م ٠

-القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت . ٦٢٤هـ) :

-إنباه الرواة على أنباه النحاة : تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت ط٠أولى ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م ٠

-الكتبي ، محمد بن شاكر (٧٦٤هـ) :

-فوات الوفيات والذيل عليها : تحقيق د٠إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت د٠ت ٠

-المخزومي ، مهدي (دكتور) ٠

-الخليل بن أحمد الفراهيدي -أعماله ومنهجه :مطبعة الزهراء ، بغداد ، ١٩٦٠م٠

-في النحو العربي -نقد وتوجيه : المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٦٤م

-مصطفى ، إبراهيم :

-إحياء النحو : دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ، ط٠ثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢م٠

-ابن مضاء ، أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (ت : ٥٩٢هـ) :

-الرد على النحاة : تحقيق د٠ شوقي ضيف ، ١٩٤٧ م٠

-ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت :٧١١هـ) :

-لسان العرب : دار إحياء التراث العربي ، ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ط٠ ثالثة ، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣م ٠

-اليافعي ، عبد الله بن أسعد اليمني (ت : ٧٦٨هـ) :

-مرآة الجنان وعبرة اليقظان : حيدر آباد الدكن ، ط٠أولى ١٣٣٨هـ٠

-ياقوت ، أبو عبد الله الرومي الحموي (ت : ٦٢٦هـ) :

-معجم البلدان : دار صادر ودار بيروت ، د٠ت ٠

-ابن يعيش ، الموفق الأندلسي يعيش بن علي (٦٤٣هـ) :

-شرح المفصل : دار الطباعة المنيرية ، القاهرة د٠ ت ٠

&&&&&&&&&

obeikandl.com